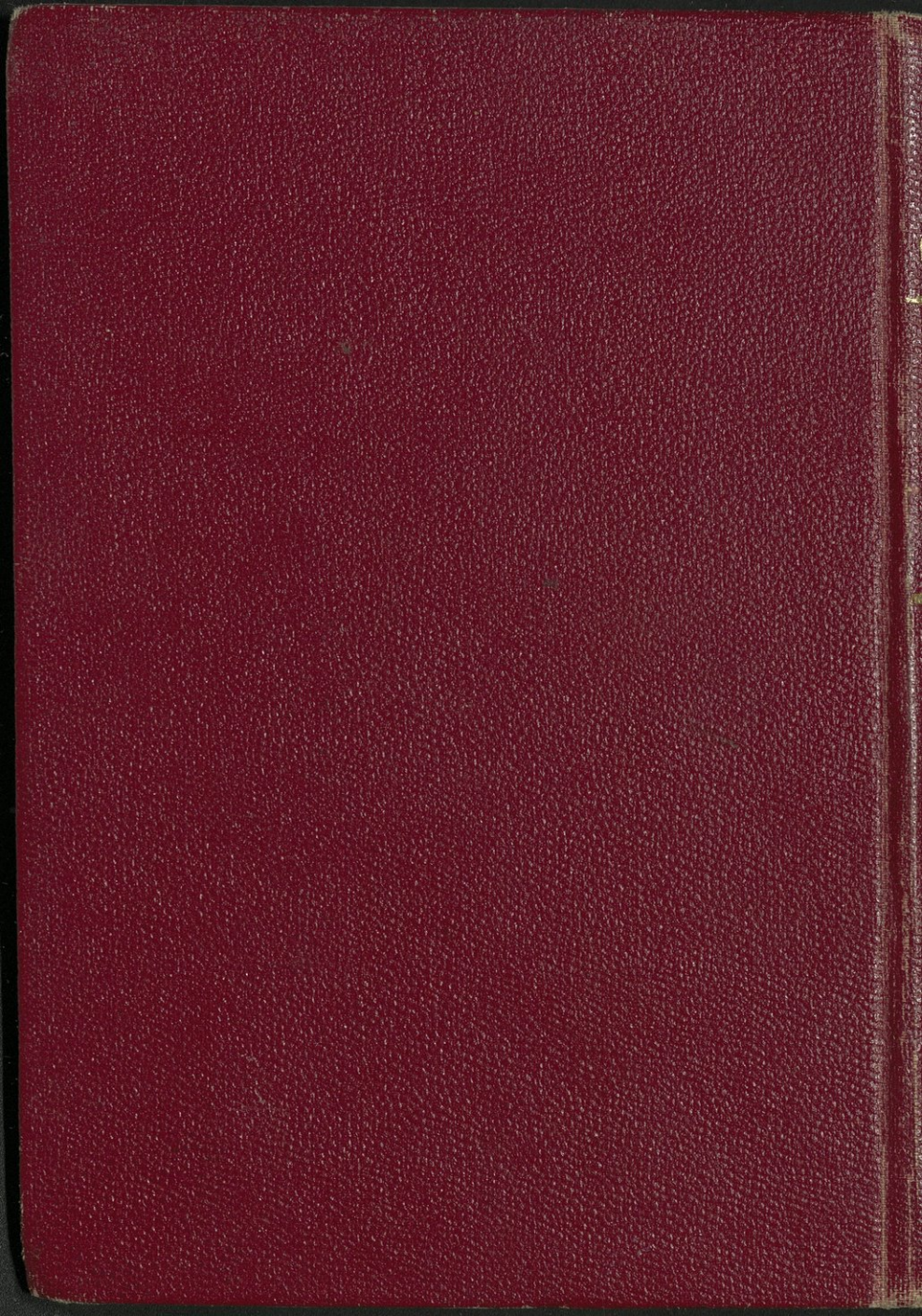
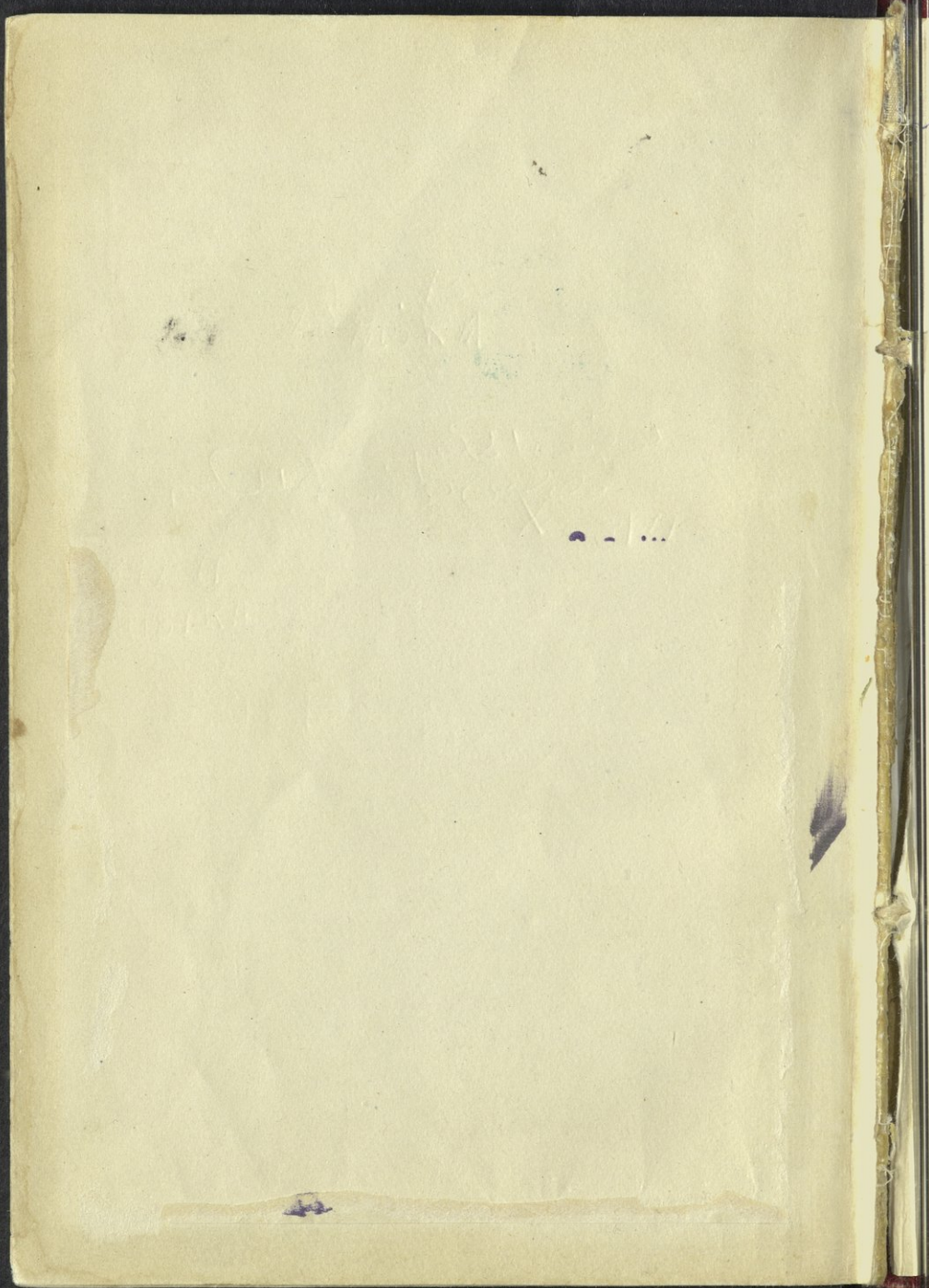
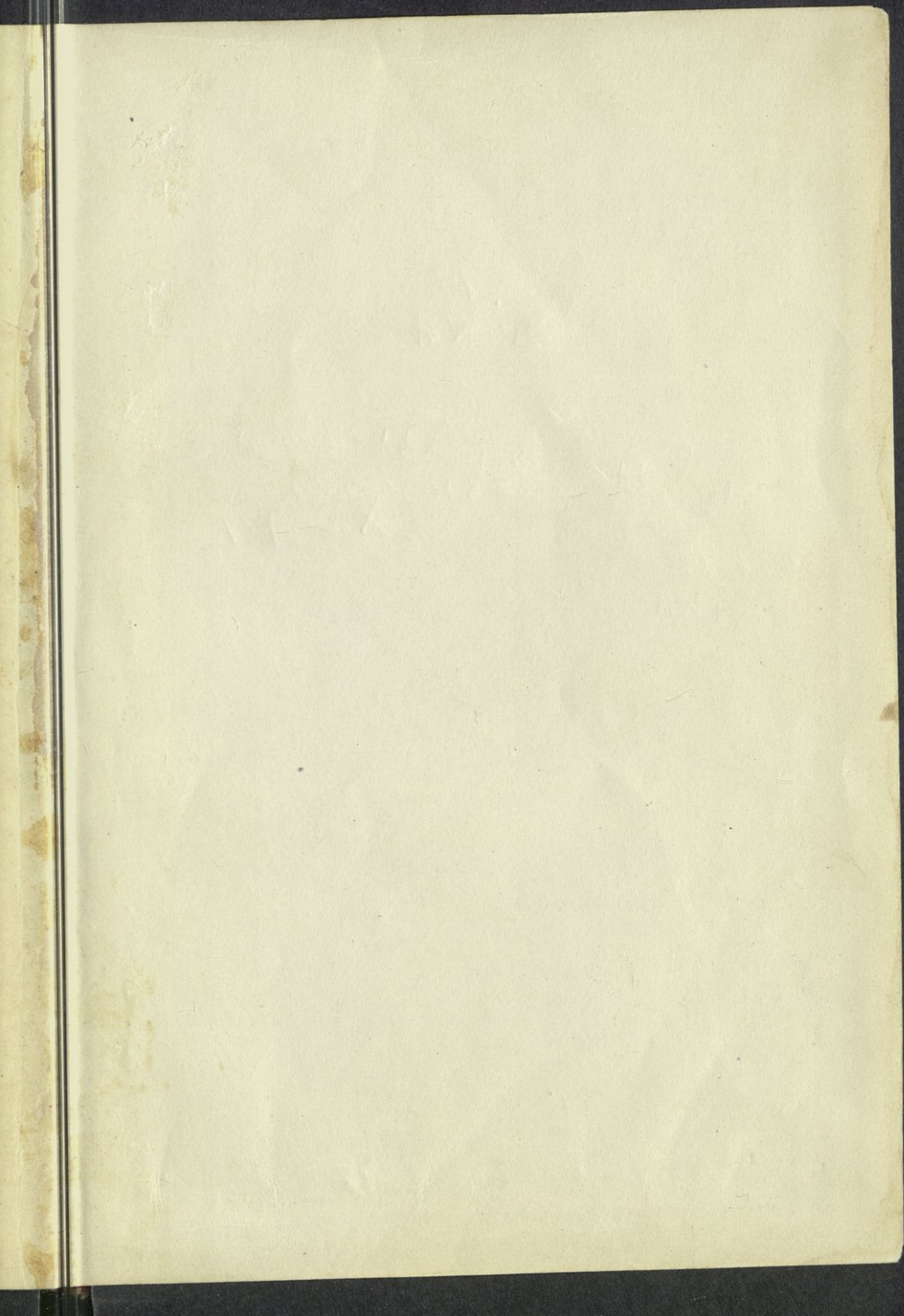




تجارت صالح الدقر
تلفون ۲۲۹۷۷





قصه توفیق الحکیم



دارت

Est. Feb. 1951

892.73
Ha438kA

قصص توفيق الحكيم
v.2

المجموعة الثانية
77088



دار سند مصرية

Cat. Feb. 1951



38078

كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في اللغة العربية

الطبعة الأولى :

(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)

الطبعة الثانية :

(مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)

الطبعة الأولى :

(مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)

الطبعة الثانية :

(مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

الطبعة الأولى :

(مطبعة مصر عام ١٩٣٣)

الطبعة الثانية :

(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٣)

الطبعة الثالثة :

(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠)

الطبعة الرابعة :

(مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)

الطبعة الخامسة :

(المطبعة النموذجية عام ١٩٤٨)

الطبعة الأولى :

(مطبعة الرغائب عام ١٩٣٤)

الطبعة الثانية :

(مطبعة المعارف عام ١٩٤٦)

محمد

شهر زاد

أهل الكهف

عودة الروح

في جزئين

تابع الكتب التي نشرت في اللغة العربية

الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثالثة : (مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)

تحت شمس
الفسكر

الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)

تاريخ حياة معدة

الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

عهد الشيطان

براكسا
او
مشكلة الحكم

(مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)

الطبعة الاولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)

راقصة المعبد

تابع الكتب التي نشرت في اللغة العربية

نشيد الانشاد (مطبعة مصر عام ١٩٤٠)

الطبعة الاولى
حمار الحكيم (مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

الطبعة الاولى :
سلطان الظلام (مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثانية .
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

من البرج العاجي (مطبعة التوكل عام ١٩٤١)

تحت المصباح
الأخضر (مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

بجماليون
الطبعة الاولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

تابع الكتب التي نشرت في اللغة العربية

(مطبعة دار الهلال عام ١٩٣٤)

أهل الفن

المجلد الاول ويشمل قصص : سر للمتحررة ، نهر
الجنون ، رصاصة في القلب ، جنسنا اللطيف .
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)

مسرحيات
توفيق الحكيم

بالاشتراك مع الدكتور طه حسين بك
(مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

القصر المسحور

المجلد الثاني : ويشمل قصص : الخروج من الجنة أو
المهمة . أمام شبابك التذاكر . الزمار . حياة تمحطت .
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)

مسرحيات
توفيق الحكيم

الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)
الطبعة الثانية لحساب وزارة المعارف العمومية
(مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عام ١٩٣٧)

يوميات نائب
في الأرياف

الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

عصفور من
الشرق

الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثالثة :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)

تابع المكتب التي نشرت في اللغة العربية

مليان الحكيم
الطبعة الاولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
الطبعة الثانية : (المطبعة النموذجية عام ١٩٤٩)

الطبعة الاولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)
زهرة الهمر

رصاصه في القلب . (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

الرباط المقدس : (مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٤)

حمارى قال لى . (مطبعة المعارف عام ١٩٤٥)

شجرة الحكيم . (مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)

الملك أوديب : (المطبعة النموذجية عام ١٩٤٨)

قصص توفيق الحكيم : المجموعة الاولى (مطبعة دار سعد مصر ١٩٤٩)
قصص توفيق الحكيم : المجموعة الثانية (مطبعة دار سعد مصر ١٩٤٩)

كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في لغة أجنبية

وترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج
ليكونت عضو الاكاديمية الفرنسية .
وترجم الى الانجليزية ونشرت مختارات منه في دار
النشر (بيلوت) بلندن ، ثم في دار النشر (كراون)
بنيويورك . في عام ١٩٤٥

شهرزاد

ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٣٥
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧
وبالانجليزية ونشرت مختارات منه في لندن عام ١٩٤٢

عودة الروح

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور
حافظ عفيف باشا . (طبعة أولى)
وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية)
وترجم ونشر باللغة العربية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر
باللغة الانجليزية في دار (هارفيل) للنشر بلندن
عام ١٩٤٧ . وترجم الى الاسبانية في مدريد
عام ١٩٤٨ .

يوميات نائب
في الأرياف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتهدية تاريخي
لجاستون فييت مدير دار الامار العربية
ثم ترجم الى الابطالية بروما عام ١٩٤٠

أهل الكهف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١

عصفور من
الشرق

الذنبارواية

حکومت و وزیران

الحکومت فی بلاد ایران

دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری
لیکات فی بلاد ایران
در سال ۱۲۳۶ هجری
در سال ۱۲۳۶ هجری
در سال ۱۲۳۶ هجری

شیراز

دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری
دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری
دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری

عمره الروح

تجارب

تجارب فی بلاد ایران
در سال ۱۲۳۶ هجری
در سال ۱۲۳۶ هجری
در سال ۱۲۳۶ هجری
در سال ۱۲۳۶ هجری
در سال ۱۲۳۶ هجری

برایان

فی بلاد ایران

دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری
دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری
دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری

أهل الکتاب

دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری
دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری
دولت و قمری در سال ۱۲۳۶ هجری

عسکری

الشرق



الدنيا رواية حقا في نظر أولئك الذين يؤمنون بنظرية
حلول الروح . تلك النظرية التي تزعم أن عدد الأرواح في
الكون محدود ، كما أن عدد الممثلين في المسرح محدود . وأن
الذي يتغير هو الأدوار التي يتقمصها أولئك الممثلون . وهي
أدوار لا حد لها ولا عد ولا نهاية ، في تلك الرواية
الاستعراضية العظمى ! . . .

إذا سائرنا أصحاب هذا الزعم في زعمهم ، فإن الصورة التي
يمكن رسمها للدنيا تبدو جديرة بالتأمل . ومن السهل تخيل
الأرواح في ظهورها واختفائها فوق مسرح الدنيا ، على الوجه
الذي يحدث بالضبط في المسارح التمثيلية . فهناك ، مثلا ،

بعيدا عن هذه الأرض وشمسها وقرها ، مكان خفي ، يمكن أن تتصور فيه ، ملاكا يقوم بوظيفة — الريجيسير — أى مدير المسرح ، يعطى الإشارة للشمس والقمر ، فتسلط الأولى أشعتها الذهبية القوية ، والآخر أشعته الشاحبة الفضية على سطح الأرض . . كما تسلط مصاييح « البروجكتور » الكهربائية على خشبة دار التمثيل . ولا بأس من أن نتخيل ذلك « الملاك » فى مكانه هذ يباشر أعماله اليومية ، وينظر فى « اللوح » الذى أمامه ، المسطور فيه الأدوار والأقدار ، ويستعرض ألوف الأرواح المهيأة للظهور على مسرح الدنيا ، ويستقبل الألوف من الأرواح الخارجة منه . . . ولا ضير أيضا فى أن نطلق الخيال أبعد من ذلك ، لينسج لنا قصة روح من بين تلك الأرواح العائدة . . .

ظهر الروح الذى نرى قصته ، خارجا من الدنيا وهو مدهوش مذهول ، كمن أفاق فجأة من نوم عميق ، وهو يردد هذه العبارة :

— يقولون إنى مت !... أأنا الآن ميت حقيقة !!

زوجتى التى تتحطم تفجعنا ، تصيح بأنى أموت ، وأنى مت

أخبرونى أيها السادة ... هل أنا حقا ميت ؟ !!

ولم يلتفت اليه « المساك » المهملك فى أعماله ، الشاخص

ببصره إلى اللوح الذى أمامه ، والسجل الذى بين يديه ،

واكتفى بأن هز رأسه وقال كالمخاطب لنفسه :

— كلكم هكذا ... لا تريدون أن تصدقوا أنكم متم .

ماذا أصنع لكم ؟ .. أنا .. ليس لدى وقت أنفقه فى إقناعكم

وإقامة الأدلة والبراهين لحضراتكم .. تقدم يا .. ماذا كان

دورك فى الدنيا هذه المرة ؟ ..

— كنت طبيبا . وكانت لى زوجة ... آه ... إن زوجتى

هى التى تموت الآن ولا شك حزنا على أنا ... يا الميسكينة ! .

ونسى ذلك الطبيب أو — روحه — كل ما حوله ،

وراح يذكر كل دقيقة من دقائق حياته التى يؤكدون له أنها

انتهت ... كان طبيبا جراحا ناجحا . تخرج فى كلية الطب

متفوقا ، وكل شيء يتيسر له ، لقد كان من أولئك القلائل الذين
ينالون دائما ما يريدون ، كان حسن المنظر لطيف المعشر ،
يظفر بنظرات كل ممرضة وطالبة . لكنه كان يعتقد أن هناك
إمرأة واحدة لا بد أن تستحوذ على كل قلبه وفكره وجسمه ،
ولا بد لها أن تأتي يوما ، إنه أرادها ولا بد له أن ينالها
فالتقدّر قد عوده أن ينيله كل ما يتمنى ، فالنجاح في مهنته تمناه
ففاض به ، وقد تمنى المال والترف ، فجاءه المال من عمله ومن
ميراث عائلته . وهو بعد ذلك يتمنى أن يلقى الزوجة التي يعطيها
حياته وكده وكسبه . . . فوجدتها ذات يوم في صورة مريضة ،
أنت ليجرى لها عملية استئصال الزائدة الدودية . ما
أن وقع بصره عليها حتى اضطرب . أترى الأرواح تتلاقى
حقا ؟ كيف تلاقى روحاهما من النظرة الأولى ؟ وكان من
المستحيل عليه أن يتصور أنه هو الذي يجري لها الجراحة
بيده ، ويشق جسدها بمديته . إن قلبه لن يحتمل ذلك . واعتذر
لها ولأهلها بشق الحجب ، وعهد بأمورها إلى جراح آخر قال

إنه أمهر منه . ولم تدرك هي معنى ذلك الاعتذار إلا يوم فاتحها قائلاً : « لقد خلقت لأكون زوجك لا جراحك » وكانت هذه الزوجة كل شيء في حياته . وكان هو كل شيء في حياتها . ما من كائنين اتفقا والتصقا وأصبحا كائناً واحداً مثل هذين الزوجين كانت زوجته تقول له يوم ترى جرحاً في إصبعه : « يا للعجب ! كأن الألم في إصبعي أنا . أهو وهم ، أهو حقيقة ؟ كيف ينتقل الوجع المادي من أصبعك إلى إصبعي هكذا أيها العزيز » وكان هو يقول لها : « العجيب حقاً هو أن كلامك هذا هو عين ما عندي . لقد شعرت فعلاً يوم جئتنى لأشق جسدك ، كأن المشروط سيدشق جسدي أنا ، وأنا بالطبع باعتباري جراحك لن أعطى مثلك البنج ، فتصوري جراحة تجرى لي بغير بنج ، بينما أنت المريضة لا تحسين الألم ! » وعاش هذان الزوجان السعيدين أعواماً كلها هناء . ولم ينجبا أولاداً . ولم يحل ذلك دون تعلق أحدهما بالآخر بل لقد كرها الأطفال حتى لا يسمحا لقيمة أسف أن يخيم على حبهما . إنهما هكذا ناعمان

أحدهما يكفى الآخر. ولا حاجة لها بثالث... وجاء اليوم المشنوم... فقد نهض على عادته في الصباح المبكر لإجراء عملية جراحية، ولكن زوجته أحست في ذلك اليوم خطراً... وتنبأت بكارثته، كما تنبأ آلة الرصد بكسوف الشمس. فتوسلت إليه أن يبقى معها ذلك النهار. فأبى التقصير في واجبه. إن مرضاه في انتظاره. فادعت المرض. فلاطفها، وداعها حتى كشف بظرف عن تحايلها، وقبلها قبلة طويلة، وانفكت من بين ذراعيها المتشبثتين بعنقه. وتركها جامدة كالتمثال... وفي الظهر عاد، وفي جسمه السم. فقد شرط قفازه أثناء الجراحة، وسرى الداء في دمه من أصبع مجروحة، واجتمع حول فراشه أساتذة الطب وأساطين العلم لينقذوه من الموت. ومن خلفهم زوجة تموت وتحيا مع كل نفس من أنفاس قرينها الحبيب... ولكن... كان الموعد محدداً لانتهاؤه دوره في الحياة عند هذا الموقف. وكان على الروح في ذلك الوقت أن يخلع الجسد كما يخلع الممثل ثياب التمثيل. وعندما كان يسلم النفس الأخير،

بين شهادات امرأته المكتومة ، وبريق دمعها المنساب ، ووقفها المترنحة المتجلدة ، وابتسامتها المموهة الدامية خيل إليه أنه يرى الحقيقة تضطرب في الظلام خلف عتبة الحياة . نعم ، الحقيقة هي أن الحياة ليست حقيقة . كان إحساسه إحساس ذلك الممثل الذي عاش دوره ، ونسى أمره ، وأبكى الحاضرين وبكى هو نفسه ، إلى أن فرغ من الموقف الأخير ، وشعر بنزول الستار ، فالتفت ، فاذا عينه تلمح في الظلام « الكواليس » بما فيه ومن فيه ، فسكن ثأره ، ورفع يده لمسح دمعته ، قبل أن يدلف إلى داخل المسرح فيسخر منه زملاؤه ويسخر هو من نفسه . ولكن عبرات المشاهدين كانت ترده إليهم وإلى التعلق بهم وبدوره . فالعواطف في ذاتها حقيقة . . كذلك الطبيب المحتضر . . . خطر له أن يبسم لزوجته الشكلي ، وأن يهمس لها أن الأمر زيف في زيف ، ولكن . . . كيف يكون كل هذا الحب زيفاً . . . مهما يكن ما بعد الحياة ، وما بعد التمثيل فإن الدموع في ذاتها جديرة بالإحترام ، والحب في ذاته أجل

من أن يربأ به ، إن الحب حقيقة ، وإن ما يربطه بروحها لا
يمكن أن يخلع مع رداء التمثيل ، ولو اجتمعت عليه كل ملائكة
السماء !... وهكذا ترك الميت خشبة « الأرض » وخلع رداء
جسده ، ودخل على « الملاك » المدير ، روحا عاريا مجردا .
ولم يحس بعد فرقا كبيرا بين ما كان منذ لحظة وما يكون الآن .
أين هو ذلك الموت الذين يقولون عنه ؟ ما الذي تغير فيه ؟
ها هو ذا يحب زوجته حبا جنونيا . . . وكل أملة أن يلقاها . .
ولكنه لا يستطيع . . لأنه ميت ، كما يقولون . إذ يراها .
ويرى جزعها ، ويريد أن يمديه إليها ، وأن يحادثها انهن
عليها . ولكن صوته لا يبلغها ، ويده لا تطيع إرادته . ما من
أعضاء مادية تأتمر الساعة بأمره . كأنها أشياء منفصلة عنه . لا
يملك تحريكها ، حاله الآن كحاله . عندما كان يتنابه في الدنيا كابوس
فيريد وهو في فراشه أن يتحرك ، ولكن إرادته لا تطاع . . .
إنه الآن إرادة مطلقة في الهواء لا تسيطر على اجسام ، ووعى
مطلق في الفضاء لا يؤثر في اشخاص ، عدا ذلك فهو لم يتغير .

فمن يدريه أن هذا موت؟ لعله نوم عميق أو حلم عابر أو
كابوس مؤقت! ..

والتفت مرة أخرى إلى «الملاك» المنهمك في أعماله
وقال له :

— أنا لا أحس أني ميت .

فنظر إليه «الملاك» نظرة شذراء وقال :

— أنت حر .

— أريد أن أعود إلى زوجتي .

— قل هذا لعزرائيل من فضلك .

— عزرائيل أتمرح؟؟

فلم يتمالك «الملاك» وقال نافذ الصبر :

— ليس عندي وقت للزاح يا سيدي . آه ، لو درى

عزرائيل الذى لا تبطل له شكوى من كثرة أعماله ، ليجرد

قبضه عدة أرواح كل يوم ، ينفذ بعدها يديه ويستريح . أما

أنا فيجب على أن أقالى من أرواحه وأتحمل حماقاتها ، وأصغى

إلى ثروتها ، يا حضرة الفاضل .. ألم يقبضك عزرائيل ؟
كيف تريد إذن منى أن أعيدك إلى زوجتك ؟ وإذا كان
كل روح يقبضها زميل أعيدها أنا ، فما الفائدة إذن من
قبض الأرواح ؟ !

— أنا شخصا لا أرى فائدة . لقد كنت مع زوجتى فى
أتم هناء . فلماذا تتدخلون أنتم لتفروا بين المحبين ؟ !

— لا نستطيع يا سيدى الفاضل أن نتركك فى هذا
الدور ، أعنى فى هذا الجسد كما تحب أنت وتشاء ، لأن روحك
تلتزمنا فى عمل آخر .

— عمل آخر ؟

— طبعاً لا بد لك من جسد آخر تحمل فيه ، ودور آخر
تقوم به . وهل تظن أن هذا كان أول أدوارك أو آخرها ؟ .
لقد سبق لك أن حللت فى مئات الأجساد ، وقت بمئات
الأدوار .

— أنا ؟ أنا سبق لى أن كنت شيئاً آخر غير زوج يحب

زوجته ، وطبيب جراح في ...

فابتسم « الملاك » ابتسامة الساخر المتبرم ، الرائي لجهل محدثه . وأخذ يقلب في صمت صفحات سجله الضخم ، إلى أن وقف على صفحة ، نظر فيها لحظة ثم قال :

— إسمع يا سيدى .. قبل أن تكون زوجا وطيبيا ، كنت لصا سكيراً ، فتك براقصة فى ملهى ليسرق حلها .. ومات على المشنقة :

— أنا ؟ !

— انتظر ... ثم كنت قبل ذلك جنديا بسيطا قتل فى معركة . ثم كنت طفلا مات بالدفتريا ، ثم كنت امرأة ماتت فى الوضع .. ثم كنت رجل دين مات بالشيخوخة ، ثم أميرامات مسموما . ثم كنت ساحراً هنديا لدغته أفعى ، ثم كنت فتاة انتحرت فى حادثة غرامية ..

— كفى . كفى . إني لست مجنوناً لأصدق هذا الهراء .

أنا طبيب جراح . ولى زوجة أحبها ، وإذا لم ألحق بها فهى لا بد

لاحقة بي. وإن أعدت أبدأ أنى كنت أمثل دوراً. فنظر إليه
« الملاك » بابتسامته الهازئة وقال :

— كل مرة كنت تقول لى عين هذا الكلام : أنت وغيرك
إنكم لا تصدقون أن هذا كان تمثيلاً .

— تمثيلاً ؟ ... جهالى وحبى لها ... وحياتنا معا التى
لا نتصور حياة غيرها ! ... لا ... لا ...

— إنك لم تزل واقعا تحت تأثير دورك .. إلى أن تذهب
إلى البحر ، فتغسل ذلك الطلاء ، وتزيل ذلك « الماكياج »
عندئذ فقط تكون على استعداد لارتداء الدور الجديد .

وأشار « الملاك » إلى أحد مساعديه العديدين ، إشارة
ذات معنى ، فتقدم ليقود روح الطبيب ، ولكنه وقف ونظر
إلى عتبة الباب وقال لرئيسه :

— عزرائيل أرسل إلينا روح امرأة .

ولم يكذب كلامه حتى ظهرت بالباب روح الزوجة ، وما
كاد يرى روح الزوج الطبيب روح زوجته ، حتى صاح

فرحا :

— ألم أقل إنها لا بد لاحقة بي !

واندفع كل منهما نحو الآخر . وقالت روح الزوجة :

— آه يا زوجي العزيز ... لم أستطع البقاء هناك
بعدي . لقد كانت ليلة فظيعة .. تلك التي رأيت نفسي فيها
وحيدة بدونك ، أناديك في الظلام .. ولم أتمالك نفسي عند
الفجر ، وأنا محطمة الأعصاب فتناولت كل ما كان بجواري
من أقراص الأسبيرين طالبة النوم الأبدى ، والراحة
السرمدية ، أو اللحاق بك ، وها هو ذا أملى يتحقق وأراك .
كيف أنت ؟ أخبرني . إنك بخير فيما أرى ، كيف قالوا إذن
أنك مت ؟ أنا أيضا لست ميتة فيما أعتقد . كنت أتمنى
الموت .. وقد شعرت ، عندما استدعوا الطبيب والإسعاف
بعد تناول الأقراص ، أنهم يهملون حولي بكلمة « الموت »
ولكن .. أين هو الموت ؟ ! أين هو ذلك « الموت » ؟ !

ولم يستطع « الملاك » صبرا .. فتمنح صائحا :

— أف ! .. لعنة الله على هذه المهنة ! .

* * *

طلق الروحان يثران كالأطفال ، وقد أعماههما الفرح
عن كل ما عداهما ، ولم يحفلا بمن حولهما ، وأدرك « الملاك »
أنهما لن يفرغا من الحديث ، إذا تركا شأنهما ، فأوما
إلى مساعده أن يقودهما إلى حيث يغسلان عنهما آثار
دوريهما .. إلى « .. » بحر النسيان .

واتجه المساعد نحوهما ليذهب بهما ، لحفلا منه . وابتعدا
عنه ، والتفتا إلى « الملاك » صائحين :

— أيراد التفريق بيننا هاهنا أيضا ؟

— لابد من ذلك .

— تتوسل إليك .. تتوسل إليك أن تدعنا معا دائما ..
في كل مكان ، وفي كل زمن ، وفي كل دنيا .. ماذا يكلفك
هذا أيها الملاك اللطيف ؟

— هذا قد يحدث لنا بعض الارتباك في العمل .

قالها بصوت بدت فيه رنة لين ، فضى الزوجان في
الإلحاح .

— تتوسل إليك . مثلك لن يعدم وسيلة . إجمعنا دائما ولا تفرق
بيننا أبدا .

— سارى ... سارى ... ربما دبرت لك ذلك ..
لكن اذهبا الآن قبل كل شيء واغتسلا في البحر .
— شكرا لك ...

لفظها الروحان بجملة و فرح ... وذهبا في الحال
مع المساعد صاغرین إلى بحر النسيان .

وهنا وجدا بحرًا هائلا ، له شاطئ جميل مثل شواطئ
المصايف الشهيرة . والبحر يعج بالآرواح السابحة فيه . تغلب
لهما المنظر . واندفعا إلى البحر ضاحكين سعيدين كما كانا في
الدنيا .

وقفرا معا إلى الماء ، يتناغيان بأرق الأسماء وغمرهما
موج أبيض كأنه رغوة الصابون ...

فإذا هما يحسان كأن شيئاً يزول عنهما رويته أرويتاً . . .
 وإذا كل منهما يردد من أعماق نفسه متعجباً متسائلاً : « من أنا
 ومن هذا الذى بجوارى ؟ » وخرج من هذا البئر من خرج
 اذعاناً لأوامر المساعدين ، وبقيهما حتى أشار إليهما المساعد
 الموكل بهما ، فخرجا كما تخرج اللوحة المكتوبة من الماء . . . لا
 أثر فى نفسيهما لحرف واحد من حروف حياتهما الماضية ،
 وأعادهما المساعد إلى « الملاك » وقد جاءت نوبتهما فى المشول
 أمامه ، لتوزيع الأدوار الجديدة ، فسأل كلا منهما :

— هل تعرف من أنت ؟ وأين كنت ؟ . وهل تعرف من

هذا الذى بجوارك ؟

فأشار كل منهما بالنفى . فتسأل « الملاك » كالمخاطب لنفسه
 وهو يراجع سجله الضخم :

— إني وعدت مع ذلك أن أجمعكم مرة أخرى . . لدى

دوران يصلحان لذلك ، فليكن أنت إذن طياراً رياضياً .

وأنت فتاة عاطفية . . أيتها المساعد . . القف بهما إلى مسرح

«الأرض» ...
 ...
 كل شيء كان قد أعد ليضيق «هو» طياراً ، فقد خرج إلى
 الدنيا طفلاً في أسرة متوسطة المركز طيبة المنبت ، وشغف في
 حياته بالألعاب الرياضية ، وعداقتي وتعلم في المدارس ،
 وأصبحت له ميول وموجهات ، بعضها يدافع البعض ، ولكن
 الظروف النهائية وجهته على الرغم من كل شيء إلى الطيران ،
 فدرسه ، والتحق بإحدى شركات الملاحة الجوية . أما «هي»
 فقد شبت خيالية النزعة مدلة مرفقة في أسرة ميسورة الحال ،
 مفككة الأخلاق ، الأب مشغول بنفسه وملاهيته ، والأم
 ساذجة ضعيفة الإرادة ، وولعت الفتاة بالرقص والحياة الصاخبة
 الحديثة . وكان «هو» في طرف من المجتمع و «هي» في طرف
 ولم يكن من السهل أن يلتقيا . فهو لا يرتاد المجتمعات التي
 ترتادها هي ، ومع ذلك فقد كان لا بد لهما من التلاق ...
 وقد حدث ...

كان يقود طائرته ذات يوم . وكان الباب الصغير الذى يفصل بين مكان قيادته وبين مكان الركاب مفتوحا على غير العادة ، فلبح فى أحد المقاعد فتاة تقرأ إحدى المجلات . ما كاد يراها حتى ارتجف ، وارتجفت معه الطائرة بمن فيها ، فقد غفل لحظة عن قيادتها . وانزعج الركاب قليلا ، ورفعت الفتاة أهدابها الطويلة . فتقابلت عيناهما . وعجب مهندس اللاسلكى لما حدث ونظر إلى الطيار بجواره ، فألفاه يصيح بين ضوضاء المحركات قائلا : « إني أعرفها . أين رأيتها ؟ متى رأيتها ؟ » . وما كاد يهبط بالطائرة فى مطار الوصول ، حتى قفز منها وتبع الفتاة ، وتقدم يخاطبها كأنه يعرفها من قبل . أما هى فلم تنهره ولم تغضب منه ، بل أحست الارتياح والرضا ، وشيئا من الاطمئنان الخفى إلى هذا الشاب . ومضى هو يقول باخلاص حار :

— إني آسف إذ أضطر أن أقول لك تلك العبارة التى ابتدأها الشبان اليوم : « أين رأيتك من قبل ؟ » ثنى إني لا أتخذها حجة لمحدثك . . ولكنى . . عندما وقع بصرى عليك شعرت فى

الحال أنى أعرفك وأنى رأيتك فى مكان ما ، انتظرى ... ربما
تلاقيننا آخر مرة فى ... فى بحر ؟ ...

فأجابت باسمه :

— من الجائز ... فى « بلاج » من هذه البلاجات ...

— ربما ... أخشى أن تكون الطائرة قد أزعجتك عندما
ارتجفت .

— لا .. إنى فقط عندهبوط الطائرة ، أحس عادة بهض
الصداع . ولكن عندى دواء لذلك ..

— قرص واحد من الأسبيرين يكفى .

فظهر فجأة الارتياح على وجه الفتاة وهمست :

— اسبيرين ! .. أرجوك ... لا تلفظ هذه الكلمة ، لا

أمقت شيئاً مثل ما أمقت الأسبيرين . ربما اهتمتنى بالخبيل .
ولكنى منذ صغرى ارتاع لمجرد رؤيته .. سأحنى .. هنالك
أشياء تولد فىنا ولا نستطيع لها تعليلاً .

— لا تؤاخذينى .. إنى آسف .. لم أقصد إيذاءك قط .

— أعلم فذلك . هذا ليس ذنبك . إنما هي نزوة من نزواتي
ليس لها من مبرر . ألا يتفق ذلك أحيانا لكثير من الناس ؟ ألا
يحدث لك أنت أيضا أن تكره شيئا بدون سبب ؟

نعم . . . نعم . . . حقيقة : أنا أيضا في الصغر كنت أحس
الإغماء كلما ذكرت أمي كلمة « عملية جراحية » . وعينا حاول
أهلّي تعليل ذلك . ولكن هذه الحالة زالت بزوال عهد الصبا . .
وأصبحت بعدئذ شخصا عاديا . .

— أرايت ؟ فينا أشياء كثيرة متقاربة .

— هذا من حسن حظي .

* * *

منذ تلك الحادثة الأولى ، وهما يشعران كأن شيئا يجذب
أحدهما إلى الآخر . ولم يمض قليل حتى تم بينهما الزواج ،
ولكن ... مرت الأيام وكل منهما يلحظ أنه يسير في طريق
غير طريق الآخر . هو يأتي من عمله متعبا فيجد المنزل يصنخب
بأنغام « الرومبا » و « الفوكس تروت » و « الهوجي بوجي »

فبينها برفق :

— أما تكفينى طول النهار ضوضاء المحركات ! .

فتجيبه بتبرم :

— محركات ؟ ! هذا كل ما تعرفه . أنت لست «روماتيك»

وكان يسلع هذا الخلاف بينهما فى الاتجاهات . وكان يعلل النفس بأن هذا طيش قد تمحوه الأمومة . وأنجب منها طفلين جميلين ولكن الأمومة لم تقهر عندها المزاج . بل المزاج هو الذى قهر الأمومة ... وأمسى الزوج الطيب يجد ليلالى زوجته مشغولة كلها بالحفلات والسهرات . وتعدى الأمر إلى ما هو أمر . فقد دخل عليها يوما فوجد لديها شابا لا يعرفه . زعمت أنه من رفاق الطفولة ، وأنه أخوها فى الرضاع وكان بين الزوج وزوجته شجار ، حسمه الزوج بالحسنى مراعاة لأولاده . ولكنه أدرك عندئذ أن علة شقائه فى الحياة هى هذه المرأة . وكرت الليالى حمراء بالنسبة إلى الزوجة اللعوب ، بيضاء من السهاد ، سوداء من الهم ، بالنسبة إلى الزوج المنكود . ولم يعد يحسن عمله لثقة

نومه واعتلال صحته وسمع همسا في الشركة المتدمرة ينذر بالشر، كما سمع همسا عن سلوك امرأته يندى له الجبين الحر. وأكلت بنفسه الهموم، ونحرت في قلبه الشكوك... وفي ذات ليلة دهم زوجته وهي في أحضان شاب.. فارتاعت وقالت متلعثمة إنه معلم رقص يعلمها الرقصة الجديدة وفقد الزوج صوابه فأخرج مسدسه وأطلق على زوجته رصاصة أردتها قتيلا. وقفز «معلم الرقص» المزعوم قفزة «فوكس تروت» من أعلى السلم وهرب كما يهرب الثعلب من حظيرة الدجاجة.. وسمع الجيران الطلق الناري، فصاحوا، وأقبل «البوليس» ينفخ في صفارته وئاب الزوج إلى رشده، وفطن إلى الفضيحة، فأفرغ في رأسه رصاصة أخرى أردته قتيلا هو الآخر...



ورفع «المسلك» بصره من فوق سجله الضخم على شجار
روحين داخلين عليه... أحدهما يقول للآخر:
— سخيف! أقسم أنك سخيف. تطلق على مسدسك

لسبب تافه كهذا؟ ! ما أضيق ذهنك أيها الزوج المغفل ! ..
ولكن هل ينتظر من مثلك تصرف غير هذا ! ؟ إنك طول
عمرك كنت زوجا مغفلا ! ..

— اسكتي أيها المرأة لا داعي لسلطة اللسان ! . ولكن
الذنب ليس ذنبك .. الذنب ذنبي أنا .. لا شك أني جنت
حتى أقتلك وأقتل نفسي معك في نفس الوقت . ما الفائدة ؟ .
ماذا فعلت أنا إذن ؟ .. ها أنت ذي معي هنا أيضا ...
يا البصيبة ! .. يا البصيبة ! ..

* * *

ولم يجد « الملاك » بدا من التدخل ، فصاح فيهما طالبا
إليهما السكون واحترام المكان . . فتقدم إليه الزوج — أو على
الأصح روحه — صارخا متوسلا :

— يا ملائكة السماء ! .. يا شياطين جهنم ! .. يا عفاريث
الجن . . . خلصوني من هذه المرأة ! .

تصیب

بیروت

في حياة كل رجل لحظة يشعر فيها فجأة بأنه مثل غطاء
الطبق الذي لا يجد طبقه ، والويل لمن لا يفطن إلى هذا
الشعور إلا متأخراً ، إنه يترك عندئذ كل شيء وينقلب مجنوناً
بتلك الفكرة المسيطرة : البحث عن شطره الآخر . كان بطل
هذه القصة من هذا النوع من الرجال . شاب مجد طموح
تخرج في الجامعات مهندساً بارعاً . درس في مصر ثم في
الخارج وكان في مقدمة أقرانه دائماً . لا يعرف غير العمل
ولا تنظر عيناه غير طريق مستقبله الناجح . وقد ركض في
هذا الطريق بالفعل حتى بلغ درجة — مدير أعمال — وكاد
يشرف على الخامسة والثلاثين وهو مستغرق هذا الاستغراق

في عمله الهندسى . وإذا بغتة تدهمه هذه اللحظة الحاسمة .
 وإذا هذا الغطاء الذى كان يجرى على — سنه — ناهبا
 الأرض كأنه كل شيء ، قد اصطدم بحدار تلك اللحظة
 — العجيبة — فوقف ودار حول نفسه دورات ثم انبطح
 على ظهره ورن معدنه رنيناً مكتوماً وكأنه يهمس :
 ما أنت إلا غطاء الطبق ! وأفانق المهندس بعدئذ وليس في
 رأسه غير فكرة واحدة : الزواج .

دهش أصدقاؤه لرنين هذه الكلمة في فمه ، فهم لم يسمعوها
 قط منه ، ما الذى حدث ؟ وهم الذين طالما فاتحوه من
 قبل فى هذا الأمر ، فلم يجدوا منه غير الصدوف وعدم
 المبالاة ، لقد كان كلما ذكرت أمامه « الزوجة » أو
 — النصف الآخر — أو « شريكة الحياة » يبدو
 عليه كأن الموضوع لا يعنيه ولا يفهم مغزاه ، وبسبب
 أحيانا ابتسامة المعجب لغو الناس فى الوصف وإسرافهم فى
 التعبير . لقد كان يحس إحساساً أكيدا أنه كامل بنفسه .

وأنه واحد صحيح لا نصف ولا ثلث ولا كسر من عدد .
 إنه درس الحساب والجبر والرياضيات العليا فنذا يتنعه بانه
 أقل من رقم . وأنه نصف فقط ، وأن هنالك نصفاً
 آخر في مكان ما ينقصه ليكون الناتج واحداً صحيحاً . هذه المسألة
 الحسابية الآدمية من الذى وضعها ؟ ولماذا ؟ ولما صلحة
 من ؟ لا . . . لا . إنه لا يظن الطبيعة مشغوفة إلى هذا
 الحد هي الأخرى بعلم الحساب . . لتجعل من الرجال
 والنساء أرقاماً أو كسوراً من أرقام تجمع بينها وتطرح . كان
 هذا كلامه فيما مضى . أما الآن فهو يقول لأصحابه : —
 صدقتم . الحياة حساب . . الحياة مسألة حسابية .
 أنا كسر . . أنا نصف . . اجمعونى من فضلكم على
 النصف الآخر ! — لكن بقيت المعضلة الكبرى :
 كيف العثور على ذلك النصف ؟ هل يترك الأمر للمصادفة
 أو عليه هو بالسعى ؟ هل القدر هو الذى يخط على لوح
 الوجود — بالطباشير — جامعاً الأنصاف بعضها إلى

بعض ؟ أو أن على الرقم المشطور أن ينقلت هو بنفسه من تحت إصبع القدر وطباشيرته ويسرع زاحفا على اللوح بحثا عن بقيته ؟ ولبت المهندس أيا ما لا يلقى على معارفه المتزوجين غير هذا السؤال الذى لا يتغير : — كيف عرفت زوجتك ؟ — وكانت الإجابات مختلفة — فمنهم من يقول : — رأيتها فى سهرة عند بعض الأقارب أو الأصدقاء ، ومنهم من يجيب : قابلتها فى سوق خيرية فأعجبته فسألت عنها ، ومنهم من يذكر : — كانت على البلاج ، فتبعتها وعرفت عنوانها ، ومنهم وهم النذرة فى هذا الزمان ممن يؤمنون بالنصيب أو — اليانصيب — ولا يرضون بطرائق الاختيار الحديثة همسوا له : والله البركة فى الخاطبة أم شلبي — ومار المهندس فى هذه الأساليب جديدها وقديمها ، ولكنه لم ينكر ولم يرفض ولم يعترض . . . لقد قبلها كلها . كل سليل يؤدى إلى شطره الآخر ان يتردد فى سلوكه ، لقد فتح عينيه

واسعتين ذهب بهما يجوس خلال السهرات والطرق
والشواطئ والأسواق . لكن . . . وأسفاه ،
أما هذه فقصيرة وأما تلك فطويلة . . والأولى أنفها
لا يروقه والثانية فمها لا يعجبه . . ثم إذا هو أغضى عن
المظهر فن يدريه بالخبر ؟ لقد جند كل أصدقائه وزوجاتهم
للبحث معه . ذلك أنه لم يكن له أقارب في القاهرة . . .
فان أهله في الريف . . وليسوا بما يحسنون فهم
ما يريد . . ولم تكن صلته بهم تليح لهم التدخل في شؤونه
فقد كانوا أقارب من درجة بعيدة . . لأن والديه ماتا
بعد تخرجه في الجامعة بقليل . . . لذلك كان اعتماده على
معارفه . . وأغلبهم كان يرتاب في أنه يأخذ الأمر اليوم
على سبيل الجد . فكانت معاونتهم له ضئيلة فطرة في أكثر
الأحيان ، ثم زادهم فتوراً وانفضاضاً من حوله ما رأوه
من تردده في الاختيار وعدم بته في الأمر ، ونبذه كل
فتاة عرضت عليه بحجج مختلفة ، على أنه لم يكن في الحقيقة

متعنتا ولا متعللا . إنما هو ذهنه كان قد صور له امرأة
بملاحظتها وخصالها ، وأوهمه أن تلك هي نصفه الذي
لا يرغب ببدى . فهو لا يريد أن يلتقي إلا طبقا
للمنموذج الموضوع في رأسه . وطال بحثه عبثا وذهب
جريه سدى . فتعد ذات مساء يائسا ونظر إلى السماء
قائلا : — تعبت أيها القدر الحكمة لك أنت الآن .
سأغمض عيني وأمد يدي فضع فيها من تشاء ! — وما
جاء الصباح حتى أرسل في طلب الخاطبة أم شلبي ،
نعم . . . ولم لا ؟ ما دام قد نزل عن نماذجه وصوره ،
وقنع بالنصيب المكتوب في اللوح ، وأسلم قياده للقدر
يخطط بيده ما يريد . . . فماذا يصنع غير ذلك ؟ أليست أم
شلبي من عملاء القدر أو من أدواته ؟ . . . من يدري ؟
لعلها هي الطباشيرة في أصبعه . إذ لا يمكن للقدر أن تكون له
وسيلة أخرى يفرض بها في مثل هذا الأمر إرادته السماوية
وأقبلت تلك — الطباشيرة — فاذا هي امرأة ضخمة بدينة

سمينة جسيمة كأنها فيل . وهل ينتظر أن يملأ يد القدر
أو يليق بأصبعه حجم أقل من هذا الحجم ؟ ! وعرض
المهندس الخاطب طلبته ، ووصف لها على قدر الإمكان
بغيته . ففضت المرأة واختفت أياما ثم عادت ومعها سجل
حافل بأسماء الأسر ومندبل كبير يضم عددا من الصور
الفوتوغرافية لفتيات على كل طراز فوقع في حيرة جديدة
كيف يتخير وأيها يختار ؟ وحدثته الخاطبة فيما حدثت عن
فتاة تصلح له . . . ولكن — يا خسارة ! — تقدم إليها
خاطب طيب ليس من السهل رفضه . تصلح لي ؟ وأين
صورتها ؟ — وخيل إلى المهندس في تلك اللحظة — ان
هذه الفتاة هي إمرأته ونصفه وحله . وأن عليه أن
يخطبها من منافسه اختطافا . وأين صورتها ؟ فقالت
الخاطبة إن أهلها رفضوا كل الرفض أن يعطوها أية صورة
لها ولكنها جميلة وأى جمال فتشبث
المهندس بأذيال الخاطبة وصاح : — لا بد من الصورة —

فتمكرت المرأة ملياً ثم نظرت إليه نظرة دهاء . فثقلها
لا يعجز عن الحيلة . لقد لحت في بهو الدار صورة الفتاة
معلقة على الحائط . . . فهي ستذهب إليهم لتخبرهم بأمره . . ثم
تخافهم وتختطف الصورة المعلقة وتأتى بها إليه . نهضت
من فورها وذهبت وتركت المهندس فريسة ذلك الإحساس
إنها هي . إنها هي . . . لقد وجدها أخيراً ما سر
هذا الشعور ؟ أتراه الغموض الذى يشملها ؟ إنه لم يرها
وينازعه فيها منذ الآن منازع . . كيف هي ؟ وهل يفوز
بها ؟ إنه واثق أن صررتها هي صررة المرأة التى يبحث عنها . ولبث
يفكر فى ذلك طول مسائه . . . وتقدم الليل وأراد
أن يأوى إلى فراشه . . . ولكن النوم استعصى عليه
فقام وأضاء المصباح الكهربائى الصغير فوق رأسه ، وتناول
كتاباً يهدى من أعصابه الثائرة . . وإذا نظره يقع على
صفحة تحتوى قصة قديمة لرجل من بلاد السند كان يبحث هو
أيضاً عن زوجة أحلامه ، فكان بحثاً مضاعفاً غير طائل ، فقال

له قائل : لا تيأس . ابحث عن الزوجة ولو في الصين : فلم يبطله
الرجل . وركب في الحال البحر إلى بلاد الصين فكسر المركب
به وبمن معه في وسط البحر . فتنجا مع بعض القوم على خشبة
من خشب المركب ، ووقعوا في مكان لا يدرون أى مكان هو
فأقاموا فيه أياما لا يجدون قوتا حتى أشرفوا على الموت ، فقال
بعضهم لبعض : تعالوا نعاهد الله على أنفسنا أن ندع له شيئا
فعله يرحمنا ويخلصنا من هذه الشدة : — فقال بعضهم . أصوم
في كل عام شهرين — وقال البعض : أصلى في كل ساعة ركعتين
وهكذا . إلى أن قال كل منهم شيئا والرجل طالب الزوجة
ساكت فقالوا له : قل شيئا ! غار ولم يجيء على لسانه إلا قوله
لا آكل لحم فيل أبدا ! فصاحوا به : — الهزل في مثل هذا
الحال ؟ ! فأجابهم : والله ما تعمدت الهزل ، ولكنى منذ بدأت
وأنا أعرض على نفسي شيئا أدعه الله فلا يخطر على بالي غير
الذى لفظت به ، ومرت اللحظات بهم ، فقال أحدهم : — لم
لا نطوف في هذه الأرض متفرقين بحثاً عن القوت فمن وجد ،

شيئاً أنذره الباقين ، والموعده هذه الشجرة ؟ فتفرقوا في الطرق . وإذا أحدهم يرجع بعد قليل بولد فيل صغير ، فلوح بعضهم لبعض فاجتمعوا . وأخذوا الفيل الصغير واحتالوا فيه حتى شووه ، وقعدوا يأكلون ، وقالوا للباحث عن الزوجة تقدم وكل منا ، فقال : أنسيتم أنى منذ ساعة تركته لله . إنى لن أرجع فى شيء تركته لله أبداً . . . ولو كان فى ذلك موتى بجوعاً ! وأكل أصحابه بدونه ، وأقبل الليل ، فتفرقوا إلى مواضعهم التى كانوا فيها يبيتون . وأوى هو إلى أصل شجرة كان يبيت عندها ، فلم يكن إلا لحظة : وإذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر والخلاء كله يندك بنعيه ، وهو يطلب القوم . فقال بعضهم : قد حضر الأجل ، فاستسلموا وتشهدوا وأخذوا فى الاستغفار والتسبيح ، وطحروا أنفسهم على وجوههم . فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً ، فيشمه من أول جسده إلى آخره . فإذا لم يبق فيه موضع إلا شمه ، شال إحدى قوائمه فوضعها عليه وفيه ثم تركه كالعجين وقصد آخر ففعل به مثل ما فعل

بالأول . . . إلى أن لم يبق من القوم غير الباحث عن الزوجة ،
 وهو جالس منتصب يشاهد ماجرى ويستغفر ويسبح ويقول :
 قاتل الله ذلك الذى نصحنى هذه النصيحة الشؤم ، وأخرجنى
 من بلادى فى طلب ولم يتم كلامه . . . فان الفيل لم يمهله
 وقصده للفور . فارتدى الرجل على ظهره مستقبلا الموت ،
 وجعل الفيل يشمه كما شم أصحابه من قبل ، ثم أعاد شمه مرتين
 أو ثلاثة ، ولم يكن فعل ذلك بأحد من الآخرين ، وروح
 الرجل فى خلال ذلك تكاد تخرج فزعا . . ثم لف خرطومہ
 عليه فشاله فى الهواء ، فظنه الرجل يريد قتله بقتله أخرى ،
 فجهر بالاستغفار ولكن الفيل رفعه بخراطومه وأجلسه فوق
 ظهره ، وانطلق به يهرول تارة ، ويتهاذى أخرى . . إلى أن
 طلع الفجر واشتد ضوؤه ، فاذا الفيل قد أنزله من ظهره ،
 وتركه على الأرض أمام باب قصر نخم . . ورجع إلى الطريق
 التى جاء منها . . ولبث الرجل فى موضعه لا يعقل ولا يعى
 من الفزع والجزع . . ولم يثب إلى رشده إلا وهو داخل

القصر .. فانتبه إلى نفسه .. فاذا هو في فراش وثير وثير
جديدة وإلى جواره فتاة كالبدرة هي ابنة صاحب الدار ...
طفقت تعنى به وهو ينظر إليها ويهمس قائلا : أمن الموت
إلى الحياة .. وأى حياة ! إنها هي .. هي ! نعم كانت هي
ضالته التي تجشم من أجلها السفر والبحر والخطر ... فقد
تزوجها بعد ذلك وكانت نعم الزوجة والخدين والشريك ...
وانتهى المهندس من مطالعة هذه القصة القديمة ، وهو
يقول لنفسه : أم شلبي ... هذا الفيل الآدمي .. من يدري ..
أعلمها هي الأخرى تحملني غداً إلى تلك الأسرة التي أجد في فتاتها
ضالتي ! .. وطلع الصبح . وانتصف النهار . وجاءت الخاطبة
تحمل في ملاءتها ، صورة في إطار ، أمسك بها المهندس متلهفا
وتفرس فيها مليا .. ثم طفق يقول كالمخاطب لنفسه : نعم ..
لا بأس .. حقيقة . إنى أردت امرأتى هكذا ! وسحبت أم
شلبي الصورة من يده برفق ، قائلة له إنها ستقع في الحرج إذا
تفقدوا الصورة قبل ردها ... وأن عليها الآن أن تعود بها

فورا لتضعها في مكانها . . وأن ما يجب عليه عمله منذ الساعة
وقد راقته الفتاة أن يمضى قدما إلى أهلها فيعرض طلبه ، قبل أن
يرتبطوا بالخاطب الآخر ، وإذا شاء فانها تدبر له موعد المقابلة
مع أبيها في أقرب وقت . . فقال لها : نعم ، أسرعى ... الخير
مقيا اختاره الله ...

لم يمض يوم حتى عادت أم شلبي تلهث وتدعوه إلى زيارة
والد العروس ، عصر ذلك اليوم ، وتوصيه أن يكون حريصا
على الذهاب في الموعد المحدد بغير إبطاء ولا تأخير ، فان أهل
الفتاة رفضوا بادية الأمر الكلام في شأن أى خاطب جديد
فهم قد رضوا عن الخاطب الأول ، ولم يروا مبررا لترك هذا
الباب مفتوحا بعد ذلك ، ولكن الخاطبة بذلت أعظم الجهد
في إقناعهم بمقابلة هذا المهندس الكفاء ، فمن يعلم أين النصيب ؟
وما ضرهم أن يأذنوا لله في زيارة قسيرة ، لتمد احتمالت وصنعت
بها استطاعت لتفتح له ذلك الطريق المغلق ، فلم يبق إلا أن يصنع
هو ما يستطيع ليقنع والد البنت ، وهو شيخ وقور متقاعد

من رجال الجيش ، دقيق في نظامه ، صارم في أحكامه ، فقال
المهندس للخاطبة : « لا تخافى فى الساعة الخامسة بالضبط
أكون هناك » ! وقد بر بوعده ، فما أذفت الرابعة والنصف
حتى كان قد تهيأ وتجهز وارتدى خير ثيابه ، ووقف أمام المرأة
يضع منديلته الحريرى فى جيب الصدر ، وينظر إليه وقد تدلى
وتهدل ، فرأى أن يخفى بعنقه ولا يبرز غير طرفه ، اعتدالا فى
ادعاء الأناقة ، واقتصاداً فى إبداء الخيلاء ، ورضى عن مظهره . .
فنزل إلى الطريق قاصداً بيت العروس ، وسار فى الشارع وكل
شئ فيه مبهج فرح ، وقد غمر الاطمئنان قلبه فبدد حيرته ،
لقد انتبى له القدر شريكته ، فلم يبق إلا أن يتقبلها منه شاكراً ،
آه للإنسان ! ما أشد عجزه ! هنالك مسائل لا يرتاح إلى حلها
إلا إذا سقط عليه المفتاح من السماء ! وهنالك مواقف يواجه
فيها الإنسان مفرق طرق ، فلا يسعفه إلا دفعة فى ظهره من يد
القدر نحو إحداها . . كانت مثل هذه الخواطر تجول فى ذهن
المهندس وهو يواجه مفرق طرق « ميدان سليمان باشا » وإذا

هو فجأة يحس دفعة في ظهره شديدة قاصمة قد طرحته على الأرض ، وإذا شيء كالعجلات يمر فوق جسمه . . وكان هذا بمبلغ وعيه لكل ما حدث . .

* * *

ليس يدري على التحقيق كم من الزمن مضى عليه وهو في غمائه ، لكنه عندما تنبه وجد نفسه على فراش وثير في سرير مستشفى ، وجسمه كله مغلف بالأربطة الصحية وقد سمع من همس حوله قائلاً « لا تتحرك » فحول بصره جهة الصوت ، فقرأى طبيباً وممرضاً وممرضة في ثيابهم البيضاء ، وقد علم منهم أنه قد أجريت له عملية « جراحية » وأنه قد كسر له ضلع ، وأنه في هذا المستشفى منذ أيام ، وأن حالته كانت خطيرة بادئ الأمر ، ولكن الخطر زال عنه الآن . . وأنه سائر في طريق الشفاء . وأراد المريض أن يتكلم وأن يستفسر فتمنعه الطبيب من بذل أى حركة أو جهد ... ولم يسمح له إلا بالرد المقتضب على أسئلة رجال الضبط الذين جاءوا لسماع أقواله في الحادث ،

وقد أجابهم بأنه لم ير شيئاً... لا السيارة التي صدمته ولا لونها ولا سائقها. نغتموا محضر تحقيقهم وانصرفوا عنه، وتأمل هو حاله لحظة واكتفى بالهمس في أعماق نفسه :

— ضلع مكسور! .. هذا كل ما وصلت إليه ..
أنا الآن كسر بحق ... دون أن أظفر مع ذلك بالتي تكملني !

ثم ذكر آخر يوم كان فيه صحيحاً .. وكان سائراً إلى بيت العروس .. ترى ماذا تم في هذا الأمر؟ أترى الفتاة ما برحت من نصيبه؟ أم أن الخاطب الأول قد سبقه إليها، بينما هو طريق، كالجواد الذي سقط في ميدان السباق؟ كيف السبيل إلى معرفة النتيجة؟ لو استطاع على الأقل أن يبعث في طلب «أم شلي» ليعلم منها ... ولكن ما الحيلة في هذا الطبيب الذي يمنعه من الكلام والحركة؟ فليصبر يوماً آخر أو يومين .. يا لسوء

حظه إذا كان قد فقدتها بسبب هذا الحادث ! الويل للجاني
الذى صدمه عند ذاك . إنه لن يفتقر له أبداً . . لا كسر ضلعه ،
بل تلك الطامة الأخرى ضياع نصفه الآخر بعد أن عثر عليه . .
وحانت منه التفاتة إلى ما حوله ، فوجد ما أدهشه : باقات
من الورد والأزهار الغالية فى الآنيات ، وقارورات فاخرات
من ماء « السكلونيا » وكتب مجلدة مذهبة لقتل الوقت ،
وصناديق ثمينة مفعمة بالحلوى وملوءة بالسجائر ... وكل ما
يمكن أن يهدى إلى مريض معزز مدلل . عجبا ! . من هذا
الذى يهتم بترفه كل هذا الاهتمام ، ويعنى بشخصه كل هذه
العناية ؟ ! وسأل طبيبه بإيماءة من عينه عمن أحضر كل هذه
الهدايا . فلم يزد الطبيب على أن قال بسرعة وبلهجة من
يقول شيئاً معروفاً للجميع :

— الست .

والتفت الطبيب إلى مرءوسيه يصدر إليهم الأوامر
الآخيرة قبل انصرافه . وغادر الجميع الحجره من فورهم .

تاركين المريض مستغرقاً في الدهشة : « الست » ! ومن
 هى هذه « الست » ؟ ! وعادت الممرضة وفى يدها أنبوبة
 زجاجية وحقنة ، ملأتها ثم وخزت المريض بآبرتها ... فانتظر
 حتى فرغت من عملها ، فسألها أن تحدثه قليلاً عن تلك « الست » ..
 وكانت الممرضة ثائرة .. فتدفقت تصفها بأنها أجمل وأكرم
 سيدة رأتها ...

وطمعت تخبر المهندس المريض بطائفة من التفاصيل لم تزده
 إلا عجباً واستغراباً ، فهذه « الست » الحسنة تأتى كل يوم لتسأل
 عن صحته . . . وهى فى كل مرة تأتى بالأزهار الجميلة ، وتضع
 النعقد فى أيدى ممرضيه بسخاء وترجوهم أن يخضوه بكل
 عنايتهم ، وأنها كانت فى ساعات الخطر الأولى تسأل عن
 تطورات حالته فى جوف الليل بالتليفون عدة مرات . . . وأنها
 حضرت « العملية الجراحية » منتظرة فى حجرة مجاورة كي
 تطمئن على عواقبها . . . وأنها أصرت على استدعاء « كونسولتو »
 من الأطباء قبل إجرائها لئلا يزداد اطمئنانا ... وأنها دفعت نفقات

كل ذلك من جيها بدون تردد . . بل الأجب أن وجوده
في هذا المستشفى في هذه الحجرة من الدرجة الأولى الممتازة بكل
ما يلزم له من علاج وغذاء ورفاهية وترف هي التي تتولى
نفقاته وأن المال يسيل من بين أصابعها كالماء في هذا المستشفى
من أجله . . ولا هم لها ولا تفكير إلا في شيء واحد : « إنقاذ
حياته » تلك هي كلمتها التي ترددها كل يوم . . « بأى ثمن
وكلما جاءت . . ولكل من تقابل من أطباء ومرضين
وختمت الممرضة حديثها قائلة ببساطة :

— طبعاً . . زوجتك . . طبعى أنها تهتم بحالتك وتضجى
بكل شيء ! ... إن شاء الله أبشرها بالأخبار السارة عن
قريب ! ...

وخرجت من الحجرة مسرعة ، وتركته يقول كالخجول :

— زوجتى ! ...

وجعل يعالج حل هذا اللغز ، . إلى أن اهتدى إلى رأى

شبه معقول :

لعل هذه « الست » التي يحسبونها هنا زوجته ليست في حقيقة الأمر سوى تلك الفتاة « العروس » التي كان ذاهبا لخطبتها . ولعلها علمت بالحادث ، وأثر في نفسها ما وقع له وهو في طريقه إليها . فحملها ذلك التأثير الشديد على هذا الاخلاص كله في العناية به . إذا كان ذلك حقا فهي إذن الشريكة المنشودة . نعم ما أكرم نفسها ! وما أسعده بمثلها ! ماذا صنع لها حتى تبذل كل هذا الذي بذلته من أجله ؟ ! ثم لماذا تتحمل هي نفقات علاجه ؟ أتراها اعتبرت نفسها زوجته منذ الآن ، لمجرد أنه كان ذاهبا يطلب يدها ؟ .. إذا كان هذا ما وقع في نفسها ، فانه ليقرأها عليه .. فهو أيضا يعدها زوجته من الآن .. بل منذ اللحظة التي سقط فيها تحت السيارة من أجلها ... يا لها من زوجة عزيزة ... إن رسمها في رأسه الساعة مشوش مختلط ... ولكنه مع ذلك يذكر بعض ملاحظاتها التي شاهدها في الصورة ذات الإطار .. لا بد له على أي حال أن يراها سريعا . ليشكرها على الأقل . وانتظر حتى جاءت الممرضة فقال لها :

— أريد أن أرى ... زوجتى ...

فأجابته الممرضة بأنها لم تحضر بعد ، ووعدته بأن تدخلها عليه توا عند حضورها . ولبت المريض يعد في انتظارها الدقائق ثم الساعات ، ثم جاء الليل ، ثم طلع النهار .. ثم مريوم وثلاثة وأربعة ... دون أن يسمع من الممرضة سوى ألفاظ الدهشة والاستغراب . فهى أيضاً تعجب لاختفاء هذه السيدة الآن .. بعد أن كانت تجيء المستشفى فى اليوم مرتين .. ووقع المهندس لا فى الهم والغم وحدهما بل فى الحيرة أيضاً والخرج ... بماذا يعمل للممرضة وللآخرين هذا التصرف العجيب من زوجته المزعومة .. فأثر الصمت أمامهم والاقلاع عن ذكرها . ولكنه ظل الأيام يحاول عبثاً أن يكشف لنفسه حقيقة هذا السر . إلى أن بدرت ذات يوم من الطبيب بادرة أنارت قليلاً هذا الأمر . فقد قال له وهو يفحص ضلعه المكسور :

— حالتك الآن على ما يرام . تستطيع الآن أن تضطجع

على وسادة خلف ظهرك ، وأن تتكلم كما تشاء .. وأن تقرأ
هذه الكتب والصحف والمجلات التي ترسلها لك الست .

فصاح المريض كالفرق الذي وجد خشبة :

— الست ؟ .. أين الست ؟ ..

فقال الطبيب باسم :

— إنها الآن مطمئة غاية الاطمئنان بعد أن أكدت لها
منذ أسبوع زوال كل خطر ..

— ولكنى ... أعنى ... هل حضرت ؟

— لا .. لقد قالت لى فى آخر مرة إنها لم تعد ترى ضرورة
للحضور ، ما دام الخطر قد زال ... وإنها تسكنى الآن بالسؤال
عن الحالة بالتليفون مرة كل يومين أو ثلاثة ...

— هل أستطيع أن أكلف أحداً يطلبها بالتليفون ؟

— بالتأكيد اعط رقم التليفون للمرضة وهى تقوم
بذلك فى الحال إذا شئت .

— رقم تليفون « الست » معروف هنا طبعاً ..

— لا أظن . . . إنها هي التي تطلبنا دائماً . . . ومع ذلك ألا تعرف أنت الرقم ؟ . . .

— آه . . . طبعاً . . . طبعاً . . .

وضحك ضحكة يخفي بها ورطته . . . وانصرف الطبيب ، وتركه يتخبط في ظلام أكشف مما كان فيه . من هذه السيدة التي تعطف عليه كل هذا العطف وهو في الخطر . فاذا انقضت غمته وتحسنت حالته ، انصرفت عنه في غير اكتراث كأنها لا تعرفه ؟ ! ثم كيف يتصل بها الآن والمسالك دونها موصدة . ونادى الممرضة ورجا منها أن تبحث في إدارة المستشفى وفي كل مكان عن عنوان « الست » أو رقم تليفونها . موهما إياها أن زوجته هذه تعتمد إخفاء مكانها عنه وتكلف هذا التصرف معه ، لأسباب خاصة ، لكن الممرضة لم تعثر لهذه السيدة على عنوان معروف ولا عن رقم تليفون . . . وكل ما يعلمون عنها في المستشفى أنها هي التي تحضر وهي التي تستفسر دون أن تترك خلفها أثراً . . . ولم يجد المريض آخر الأمر غير وسيلة واحدة . . .

ما كاد يهتدى إليها حتى صاح فرحاً كمن وجد الفرج . . .
والتفت إلى الممرضة قائلاً :

— اسمعى ! .. أرجوك .. إذا سألت عنى « الست »
بالتليفون فى المرة القادمة ، فأخبريها أنه قد حدثت لى نكسة ،
وأنى إن أعيش أكثر من ساعتين ! فترددت الممرضة . فأقنعها
بورقة مالية دسها فى كفها .. فقبلت المجازفة بهذه
الأكذوبة لوقت محدود . ومضى يومان .. وإذا الممرضة
تدخل على المهندس مهرولة لاهثة وهى تقول :
— تكلمت ..

— صحيح ! .. تكلمت

قالها وقد كاد قلبه يثب من جوفه . فأكدت له الممرضة
أن « الست » تكلمت الساعة بالتليفون لتستفسر ، فأجابها
بالرد المتفق عليه ، فدعرت وألقت بالساعة ، وهى قادمة بعد
دقيقتين . فلم يدر المريض ما يصنع من الفرح .. ومد يده
على غير وعى منه يلتمس زجاجة عطر الكولونيا ليتطيب ...
وهو يوصى الممرضة أن تدخلها عليه للفور ، وأن لا تنسى

أنه يحتضر . . . وخرجت الممرضة تستقبل القادمة . ولم
يمض قليل حتى سمع المريض صوت المرأتين يقترب .. فأغلق
عينيه نصف إغلاق ، واستلقى بلا حراك ومثل دور من
يموت . . . ودخلت « زوجته » المزعومة وتسمرت بالعبوة
تنظر إليه شاحبة الوجه . . فكاد يمثل الموت يموت حقاً . .
من هذه المرأة ؟ إنها ليست صاحبة الصورة التي في الإطار ! . .
هو الذى وطن النفس وأعد الذهن لرؤية امرأة يعرفها . .
أو يعرف رسمها على الأقل ؟ ها هو ذا أمام امرأة جديدة
لم يرها قط فى حياته ، ولا يدرى عنها شيئاً . . .
وانهار كل ما كان قد بناه فى لحظة . فليست هذه المرأة
بالعروس التى كان ذاهباً لخطبتها . . وليست هذه العناية
وهذا الاهتمام وليد تلك الأسباب التى كان قد رتبها
واستبطنها واستتجها . . . هذه امرأة غريبة عليه وعلى
ذهنه وفكره . . . لم يرها من غير شك فى الماضى ،
ولم يصادفها فى حقيقة أو خيال . . فمن تكون ؟ ومن

أين طلعت له ؟ وما سر عنايتها به ولهفتها عليه . .
وقلقها في ساعات أزمانه . . وتكلفتها جميع نفقاته . .
هذا هو اللغز الذي فاق جميع ما عداه . ولكن هذه
المرأة التي لم يعرفها ولم يرها . . ما أجملها ! . . . إنه
تخيل فعلا يوماً ما نوعاً من الجمال تمناه في إمرأته . . .
ولكنه لم يستطع تخيل حسن كهذا . . إنه لكثير عليه
هذا الجمال . . ثم ما أروع وجهها في هذا الشجوب
لقد شحب وجهها هكذا حزناً عليه . . . أهو في بقطة
حقاً ؟ . . ثم ما هذا الذي يرى . . يا للعجب ! . .
إنها دمة فضية تترقق في عينيها الواسعتين كأنها قطرة
ندى . . . ولم تتحمل الحسنة ألمها — فيما يبدو —
أكثر من ذلك . فاندفعت خارجة من الحجرة ، وهي
تمسح دمعها بأناملها القرمزية الأصناف ، والممرضة في
أثرها . . ولم يبد المريض حركة ولم يلفظ همسة فقد
أذهله ما رأى عن كل شيء . . . ولم يثب إلى رشده ،

وتستيقظ له إرادة ، إلا بعد أن عادت إليه الممرضة وحدها راجية ملحة في الرجاء أن يكف عن هذه الأكذوبة ، وأن يسمح لها أن تخبر الحسناء بالحقيقة ، قبل أن تتخرج الأمور ، ويبلغ إدارة المستشفى الأمر ، فتعرض هي للمؤاخدة ، ذلك أن « الست » تصر على استشارة الأطباء ، وبذل كل عطاء لإنقاذه من الموت ، ولم تنتظر الممرضة رأيه أو جوابه .. وأقبلت عليه تعينه على الاستواء قليلا وتضع الوسادة خلف ظهره ، وجذبت إحدى المجلات المصورة ودفعت بها إليه ، وأعلنته أنها ذاهبة تخبر « الست » بالحقيقة ، وتعود بها لتراه وهو في حالته الحقيقية وخرجت عنه وهو مضطجع كالطفل الذي لا إرادة له ولا عزم المتقبل كل ما يجرى له ويفرض عليه وأخذ يعيث بصفحات المجلة المصورة بعين زائغة وفكر شارد وإذا بصره على الرغم منه يقسع على صورة يعرفها .. عجباً !

إنها صورة للحروس التي رأى رسمها في الإطار . . . نعم . . .
 هي بعينها في ثياب العرس البيضاء وإلى جانبها شاب في
 ثياب السهرة «الفراك» وتحت الصورة عبارة «قران
 بهيج» . . . لقد زفت إذن إلى خاطبها الأول . . . حسنا
 فعلى ، إنه لا بأسف الآن عليها كثيرا . . . وأرسل
 بصره إلى الباب نافذ الصبر . . معلق الأنفاس . . . وإذا
 الممرضة تدخل وهي تجذب الحساء جذبا رفيقا إلى داخل
 الحجرة ، وقدمت إليها مقعداً بجوار السرير ، وانصرفت
 في الحال . ومر كل ذلك مرأ خاطفاً . . فلم يشعر المهندس
 بالحسنة إلا وهما منفردان وجها لوجه ، ولم يكن من
 اليسير أن يجد أحدهما الكلام الذي يبدأ به . . . فوقها
 أول الأمر في صمت عميق مخرج . . . قطعه الجميلة قائلة ،
 وكأنما تتنفس الصعداء :

— أف ! الحمد لله أنك بخير ! . لقد كاد يغشى على

الساعة عندما حسبتك تموت ! . . .

فرنا إليها وإلى فيها وهي تنطق هذه الكلمات ، وكأنه
لا يصدق أن هذا قول موجه إليه . ثم تمالك قليلا
وقال لها :

— حياتي شيء مهم عندك ؟

— جداً

— لا يوجد غير تعليل واحد لكل هذا ، إنى مت
حقيقة وانتقلت إلى جنة الخلد ، وما أنت إلا حورية
مكلفة بملاطفتي . ولكن ... أين الشجر والنمر والكوش
ولماذا هذا السرير والمرضة والمستشفى !!

— لا .. أنت من حسن الحظ حى ... لأذك لو
كنت مت ودخلت جنة الخلد ، كنت أنا دخلت السجن .

— السجن ؟ وما المناسبة ؟

— آن الأوان أن اعترف لك ياسيدى بحريمتي . أنا
الذى صدمتك بسيارتي . وإنى بالطبع متأسفة جدا .
ولكنه القدر ... أقوى منا ومن إرادتنا وتديرننا .

كنت مسرعة وهذا خطأ مني ولا شك . . ولكنني كنت مدفوعة برغبتى فى شراء ثوب حريرى رأيتـه فى الصباح ، وخفت أن تسبقنى إلى شرائه أخرى . وعندما مرت العجلات على جسدك . . لم أقف ومضيت فى السير بعين السرعة . . لا عن قسوة منى ونقص فى المروءة . . بل عن خوف شديد استحوذ على . . لقد هربت من جسدك الملقى على الأرض كن يهرب من شبح . . وعدت توا إلى بيتنا غائبة العقل . ورأتى والدتى فهالها اضطرابى ، وقصصت عليها ما حدث ، فنصحتنى أن أخبر والدى بكل شيء . وهو من رجال القضاء . فلما سمع والدى القصة حار هو الآخر فيما ينبغى عمله . فان التبليغ عن هذا الحادث معناه التعرض للحكم بالحبس إذا مات المصاب ، كما قال لى ، وإذا لم نبلغ فاننا نحتمل تقريع الضمير طول حياتنا ، وإن كرامته كسقاط تمنعه من أن ينصح أحداً ولو كان ابنته بالهرب من العدالة . . . وإن حنانه كأب يمنعه كذلك

من أن يدفع بابنته الوحيدة إلى السجن . . وانتهى به
التفكير إلى أن ترك لي حرية التصرف . . بعد أن أفهمني
كل النتائج المحتملة لهذا الفعل . . وجرل يعنفني على جنوني
في سرعة القيادة . . ونصحتني أخيراً أن أتبع حال المصاب
على الأقل وأن أعمل على علاجه وإنقاذه . . فانه إذا
شفي لن يقع على من العقاب أكثر من غرامة مالية ولهذا
يادرت أسأل أقسام البوليس عن المصاب في حادث السيارة
عصر ذلك اليوم في ميدان سليمان باشا . . . إلى أن
أهتديت إليك .

وأصغى المهندس إلى حديثها ، وكأنه يهبط رويداً رويداً
من السحاب حتى لاصق التراب . وما فرغت روايتها . .
حتى نظر إليها قائلاً :

— يالك من مجرمة أثيمة ! . . كسرت ضلعي ، وأضعت
خطيبتى ، وبددت أحلامي ! . وكل هذا لن تعاقب عليه
بأكثر من غرامة مالية ! .

— لأنك شفيت والحمد لله !

— أنا شفيت ! وما قيمة شفائي ؟ إن موتى الآن خير من حياتي . . . أكل هذا العطف الذى نلته منك . . وهذه الدمعة التى سقطت من عينيك ، وهذا الشحوب الذى بدا عليك لم يكن من أجل ولا خوفا على . بل خوفا على نفسك من الحبس ! . اسمعى أيتها الأنسة . . أو الست . . أو الزوجة المزعومة . .

— الزوجة ؟

— طبعاً . . وماذا تريد أن يكون ظنهم هنا بـسيدة مثلك تعنى هذه العناية برجل مثلى ؟ لقد خطر فى بالهم بالضرورة أنها زوجته ، ولم يخطر فى بالهم أنها قاتلته ! — لا تقل إنى قاتلتك . . فهذا أنت ذا الآن فى صحة جيدة .

— كم كنت أتمنى أن أموت لتدخل أنت الحبس . .

— إلى هذا الحد تبغضنى ؟

— هل أبلغت الحكومة أنك أنت الجانية ؟

— لم أبلغ بعد . . لقد رأيت أن أنتظر حتى تشفى . .

— وإذا كنت مت ؟

— كنت ذهبت وقدمت نفسى إلى البوليس .

— أ أنت واثقة أن القضاء كان يحكم بحبسك فى حالة

وفاتى من الحادث .

— كان ذلك مرجحاً لأنى من أرباب السوابق .

— أنت ؟ من أرباب السوابق ؟ !

— نعم . . فى حوادث السيارات سبق لى أن صدمت

حماراً محملاً بالخطب فى طريق عزبتنا فى صيف العام الماضى ،

ومنذ ستة أشهر صدمت حماراً آخر يحمل قصباً فى سكة الهرم .

— حضرتك اخصائية فى صدم الخير ؟ ! BRAVO !

فمنظرت إليه وهو مغلف فى أربطته الصحية . . وضحكت

ولم يفتن هو إلى « النسكته » ومضى يقول :

— أيتها الجانية . . أنا بصفتى المخنى عليه ، لا بد أن يسمع

رأى فى جريمته . هل تريد أن تحكى أو تحكم المحكمة ؟

— حكمت .

— حكمت عليك بالحبس .

— تريد حبسى ؟ !

— فى أحضان الزوجية .

فمنظرت إليه وابتمست ابتسامة المحكوم عليه الذى رضى

بالحكم ولن يستأنفه أو يناقض فيه .

* * *

مضى عام على زواجهما ، فأدرك المهندس أن « القدر »
حقا قد عرف كيف يهديه إلى « طبقه » وشطره ونصفه
وزوجته المثلى . . وقد آمن أن للقدر من الوسائل أحيانا
ملا يخطر على بال البشر . . وهل كان مثله يتصور أنه سيلقى
شريكة يوما بهذه الطريقة ؟ ! إن كلمة « النصيب » التى
يذكرها ناس :أنا فى بساطة ليست إلا مظهراً من مظاهر
فن « القدر » العجيب فى تدبير سمائر الإدميين . .

واحتفلا في المساء بمرور العام على ذلك الزواج ، فهمس
في أذن زوجته قائلاً :

— كان لابد لحوام أن تأخذ من آدم ضلعاً حتى توجد ،
وكان لابد لك من أن تكسرى لى ضلعاً حتى أجذك ! .

كليوباتره ومارك

لما كان من جملة ذلك ما ذكره في كتابه

في كتابه

سكن

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

في كتابه

کلیوباتره و ماک

بسم الله الرحمن الرحيم

من أسرار الحرب الأخيرة التي لم يكشف عنها النقاب
ما أرويه الآن . وما من صحيفة في العالم نشرت هذه القصة
الغريبة ، التي قد تصدم منطق الإنسان في القرن العشرين .
ولكن هذا لا يمنع من أنها وقعت بالفعل . وأرجو أن
لا يسألني سائل عن مصدر على بها . فهذا ما أقسمت أن لأبوح
به لأحد .

كان ذلك في عام ١٩٤٤ ، في جزيرة ما بالمحيط الباسيفيكي
اتخذها الجنرال « ماك آرثر » مقرا لقيادته في حربه ضد اليابان
بعد أن اضطر إلى الجلاء عن الفلبين . .

كان المساء جميلا . والشفق مازال يدمى على صفحة سماء

بيضاء كرداء العروس ، والنسيم يهب رقيقاً من البحر الهادئ
النائم . . .

وكان « ماك آرثر » جالساً في شرفة مقره بمفرده ، وقد
غرق في مقعد من القماش كتمقاعد الشواطئ ، وأرسل رأسه إلى
الوراء على المسند وراح في شبه إغفاءة . . تحت وقر التعب
والإجهاد ، وثقل الأعباء والتبعات . .

لم ينم طويلاً . فقد استيقظ فجأة على صوت مجاديف تمس
الماء كما يمس المروء الجفن ، وموسيقى تحملها الريح ، وعطور
تتضوع في الهواء . . ففتح عينيه ، فإذا هو أمام منظر عجيب:
سفينة من سفن العصور القديمة ، تتهاوى فوق الأمواج مقتربة . .
مؤخرتها من الذهب ، وشراعها من الأرجوان ، ومجاديفها
من الفضة ، تتحرك على نغم المزامير . . . وفي مقصورتها امرأة
مستلقية على الحرير كأنها إلهة ، يحرق بين يديها بخور وينشر
عبير ، يلعب بالرموس ويسحر النفوس . . .

نزلت تلك المرأة من السفينة ، ومشّت وكأنها تخطر في

الهواء .. نحو مركز القيادة ، وهى تقول :

— « مارك أنطونى ، !

ففرك الجنرال الأمريكى عينيه وهو يقول :

— أنا « مارك آرثر ، !

— نعم ، أقصد « مارك آرثر ، إليك جئت . وأنت الذى

أريد . . .

— من أنت ؟

— أنا كليوباترا .

ففحصها القائد بنظره مليا . . . وتأمل ثيابها ودمقسها

ودما لجها ولآلئها .. ثم التفّت إلى سقينتها العجيبة ، وهز رأسه

باسما وقال :

— فهمت ، فهمت . إنما الذى أعجب له هو : كيف

ستطاعت هوليود أن تعمل فى هذه المنطقة الحربية بدون

على ؟ وكيف حصلت على إذن فى ارتياد هذه المياه الممنوعة

لإخراج لآلئها التاريخية ؟ وما هى السلطات المختصة التى يمكن

أن تتحمل هذه المسؤولية دون الالتجاء إلى رأيي ؟ ! هذه مسألة خطيرة ياسيدتي ، لا يحسن الاغضاء عنها . . .

ونحن ، وعلى محياه جد وصرامة .. وأراد دخول مكتبه ليتحرى الأمر فاعترضته الزائرة العظيمة ، ووقفت بجلالها الملكي ، وقالت بصوتها الملائكي :

— قلت لك أنا كليوباترا ، ملسكة مصر . جئت إليك من العالم الآخر . ولعلها أول مرة يحدث فيها ذلك ، منذ عرف الناس الحياة وعرفوا الموت . إن عصركم اليوم عصر تقع فيه أعاجيب ، ولكن الأعجوبة الكبرى هي تمكيني من العودة إلى الدنيا .. كيف تمكنت ؟ هذا ما لا شأن لك ولا لي به . وأنا لم أحضر لأطلعك على أسرار الموت والحياة . ولكنني أريد أن تصدقي .. فلاقل لك إذن ببساطة كيف تم هذا ، بطريقتكم ولتسكنم التي تفهمونها : إننا بعد موتنا نتلاشى روحا وجسداً كذرات في الفضاء ، ولكسنا لا نعدم . لأنه كما تعلمون لا شيء يندعم في الفضاء .. على أن المتعذر دائماً هو جمع هذه

الذرات ، من الكون ، مرة أخرى في عين الجسد وعين الروح
لقد استطعتم بجهاز الراديو أن تجمعوا من الفضاء أصواتا
وتنقلوا صوراً . . . ولكن أين للموق ذلك الجهاز الذي يجمع
ذراتهم المتناثرة ، في كيانهم القديم وصورهم الغابرة ؟ لا بد أن
توجد قوة هائلة تجذب هذه الذرات وتجمعها . لقد حدثت
هذه المعجزة فيما يختص بي . . لقد كنت أنت هذا الجهاز ،
أو هذه القوة التي جذبتني ، بدون أن تشعر أنت أو تعي ،
إنك لا تدرك أى شبه بينك وبين حبيبي السابق « مارك »
أنظوني !

قالت ذلك ، و « مارك أرثر » يصغى إليها مشدوها . لكان
إرادته قد فارقتة . . يدرك هذا من قرأ « بلوتارك » المؤرخ
اليوناني حين وصف كليوباترا . . إنها ، على حد قوله ، لم تكن
في الجمال بالغة مالم يبلغه غيرها من الجميلات ، ملاحظة وجهها لم
تكن وحدها مبعث فتنها التاريخية ، إنما هو حديثها الذي كان
ينفذ في القلوب كالشوكة . كان صوتها هو العذوبة ، ولسانها

قيشارة ممتدة الأوتار . تعالجها برشاقة وتمسها بلباقة ، في
مختلف اللغات واللهجات . إن مقاومة سحر حديث كليو باترا
كان هو المستحيل . .

وهمس القائد الأمريكي مخاطب نفسه :

— « مارك أنظرنى ! »

— نعم . . ما أعجب الشبه بينك وبينه ! فى وجهه وأنفه
وقوامه . . ومشيته ! بل ما أشبه دولتك بدولته . . لقد
كان الرومان فاتحين العالم بالسيف ، واليوم الأمريكان هم فاتحو
العالم بالتجارة . كان للرومان مجلس شيوخ و « قيصر » .
والأمريكان مجلس شيوخ و « روزفلت » . .

* * *

من اللائق أن نطيل . . . فن البديهي أن نقول :
إن « ماك آرثر » وقع فى حب « كليوباترا » . . وهل دنا منها
أحد دون أن يسقط فى أتون غرامها ؟ ومنذ ذلك المساء
وهما لا يفترقان . كانت معه كما كانت مع « مارك أنظونى »
فى أول حبهما . . لقد قيل إنها والقائد الرومانى كانا

متلازمين الليل والنهار . كانا معاً يهيمان في الطرقات أحيانا
 يمرحان ويلهوان . . . هي متخفية في زى وصيفة وهو
 في زى وصيف . . أما اليوم فانها تلازم القائد الأمريكى
 في زى « ضابطة » من المجندات ، وقد ألحقت بمكتبه .
 وهو وضع طبيعى . . وهل يثير التفات أحد أن يكون
 للجنرال الأمريكى « سكرتيرة » مجندة في رداثها العسكرى ؟
 لم يكن شيء يعكر صفو جهما غير شيخ . . هو دائماً
 عين الشيخ : الزوجة .

فيما مضى كانت هي « فولفيا » زوجة « مارك أنطونى »
 التى هجرها فى إيطاليا . واليوم هي مسز « ماك أرثر »
 التى تركها فى أمريكا . .

يا له حقاً من تشابه عجيب !

كلاهما زوج وأب ، بعيد عن بلاده . وكلاهما يحزن
 كليوباترا ويزعجها كلما فكرت فى العودة إلى امرأتها وأولاده .
 ولم تلبث مخاوفها أن تتحقق . فها هي ذى المعركة

الانتخابية تقوم في أمريكا لاختيار « الرئيس » ورشح
« روزفلت » للمرة الرابعة . ولكن نفراً قاموا من جهة
أخرى يرشحون أمامه « ماك آرثر » ..

هنا نهضت « كليوباترا » تدرأ عن حشها الخطر ،
فاستعانت بقوة سحرها ونفوذ فتنتها لتصرف « القائد
الأمريكي » عن هذه الفكرة ، كما صرفت من قبل « القائد
الروماني » عن الذهاب لمحاربة قيصر ..

لعل هذا هو السر الحقيقي في انسحاب « ماك آرثر » من
الانتخابات الأمريكية !

وهكذا ظفرت « كليوباترا » باستبقاء حبيبها إلى جانبها
وأقصته عن زوجته ووطنه وذويه ..

على أنها كانت هذه المرة ذات فال حسن وأثر طيب
على القائد الأمريكي . فقد حفزه قربها وألهمه ، فتوالت
إنتصاراته . وصار يشب من جزيرة إلى جزيرة خلف اليابانيين ،
يطردهم منها ويستولي عليها . وهو لا يهرب شيئاً إلا أن

يبدو مندحراً أمام « كليوباترا » . . حتى تم له الفوز
 الأخير . واستسلمت اليابان . . ودخل « ماك آرثر » طوكيو
 ودخول الفاتحين . .

ومرت أيام لم ير القائد أجمل منها — وفي ذات
 عصر ، وقفت « كليوباترا » بجواره وأرسلت بصورها
 إلى البحر ، وقالت :

— أتدرى يا « مارك » . . أقصد يا « ماك » ما الذى
 يجول فى خاطرى ؟

— ماذا يا « كليو » ؟

— أتذكر يوم جئت إليك تحملين تلك السفينة الجميلة ؟
 لقد كانت هى عين السفينة التى ذهبت فيها إلى « مارك »
 فى « طوروس » وقد استدعانى لأقدم حساباً عما نسبوه
 إلى من معاوتى لأعدائه . ولقد أحب أحدنا الآخر
 بعدئذ . ولكن برغم ذلك . . أى إذلال وهوان أن
 يستدعى رأس متوج ليثمل أمام قائد منتصر !

ما قولك يا « ماك » لو استدعيت امبراطور اليابان
ليمثل بين يديك ؟

فأجفل « ماك أرثر » قليلا لهذه الفكرة . . إنه
لا يجهل خطورة الإقدام على هذا العمل الجريء . إن
« الميكادو » شبه إله في قومه . .

ونظر إلى حبيته مترددا متوجسا . . ولكنها استقبلت
عينيه بنظرة منها أسكرته . فأحس قوة تدب في قلبه
ديب الخمر . . وقال :

— سأفعل ! . سأفعل يا كليون !

ولم تمض أيام حتى كان الامبراطور بقبعته العالية
الرسمية السوداء ، مائلا أمام « ماك أرثر » في مقر قيادته
وهو بقميصه الكاكي . .

واهتز العالم لهذا الحادث !

واستمرت بعد ذلك اللحظات السعيدة ، يرتع في ظلها
الحبيبان ، ويضحكان ويلعبان . .

وخرجا ذات يوم للصيد في خليج طوكيو .. وكاد
النهار يولى و « ماك أرثر » لم يظفر بسمكة . وخجل
من الهزيمة أمام حبيبته العظيمة ، فغافلها واتفق مع
أحد الصيادين الحاضرين ، على أن يغوص في الماء ويضع في
سنارته سمكة من صيده الطازج ، ونفذ الاتفاق ، وجذب
القائد سنارته ، فاذا بها سمكة كبيرة ، أراها لحبيبته
مزهواً .. ولسكن كليوباترا لم تكن بالغافلة .. وأعدت
للغد عدتها . واتفقت هي الأخرى مع الصياد سراً ..
فلما جاء الغد ، وضع « ماك » سنارته في الماء إلى أن
شعر بثقلها ف جذبها .. وإذا بها : سردينه كبيرة مملحة
كما يباع في صناديق البقالين ..

ارتفعت عندئذ قهقهة الحاضرين . وكاد القائد الأمريكي
يغضب ، لولا قول كليوباترا البارع اللبق :

— أيها القائد الظافر ! .. مالك وصيد السمك ؟ أتركه لنا
نحن العاديين والعاديات ! .. أما أنت فصيدك الجزر وانلذ

والمملك والامبراطوريات ! ..

ما من إكليل غار يعدل هذا الاطراء من فم « كليون باترا » !
عند ذاك ألقى « ماك » بعضا صيده ، وأقبل عليها وقلبه
يقطر حبا ، وهو يهمس :

— يا عزيزي كليون !

* * *

لكن الحب شديد النهم . . إنه يأكل كل شئ حتى نفسه
إنه لا يمتنع أبدا . ولا يعرف نهاية ولا حدا . لقد جعل « ماك »
أرثر ، همه الأكبر بعدئذ مطالعة كتب المؤرخين ، اليونان
واللاتين ، الذين كتبوا عن كليون باترا . وخرج من هذه القراءة
بقلب نهشته الغيرة . . لقد تبين له أن أكثر كلمات حبيبته التي
تناجيه بها وتخلب لبه ، سبق أن قالتها بنصها ولفظها لمشارك
أنطوني !

ودخلت « كليون باترا » عليه يوما ، فأبصرت في يده كتاب
بلو « تارك » مفتوحا على فصل يصف أخبارها . ففهمت لساعتها

ما يجيش في صدر حبيبها المقطب الجبين ، فابتدرته قائلة :

— أرجوك أن لاتصدق ما يهرف به هؤلاء المؤرخون !

— كيف لا أصدق والعبارات التي أوردوها هي عين

عباراتك التي أسمعها اليوم من شفقتك ؟

— اسمع يا مارك

— من فضلك .. أنا اسمي ماك .. ماك .. إلى متى تظلمين

تخططين بيني وبين الآخر ؟

— ثقي أني لا أخطئ .. وإنما لسانى يغلط .. هذا طبيعى

أولا تريد للسانى أن يخطئ وهو الذى تعود ذلك الإسم منذ

عشرين قرنا ؟ !

— إياك بعد الآن أن تمزجى بيننا . تذكرى دائما فك

وأيته منذ حرا . أما أنا فأنك رأيتنى مختصرا .

— نعم .. لقد كان حبي له شؤما عليه . أما حبي لك . كما

ترى ، سعيد الطالع . يجدر بك أنت أن تذكر دائما أنى عدت

إلى الحياة من أجلك . هذا ما لم يحدث لبشر غيرك ! ..

سكن عندئذ ناثر القائد الأمريكى واستقرت نفسه .
ومضت أيام وهو هادئ مطمئن راض عن حبه . ولكن
الحب لا يرضى ولا يطمئن . لأنه إذا فعل ذلك نام وهو كالقلب
إذا نام مات ...

ورنت فى رأس « ماك آرثر » عبارتها الأخيرة : « هذا
مالم يحدث لبشر غيرك » ! فردد مخاطبا نفسه ذات ليلة :

— حقيقة .. هذا مالم يحدث من قبل .. هذا هو المجد الذى
لم يبلغه بشر .. كليوباترا تعود الى الحياة من أجل ! . ولكن
من يعلم ذلك حتى الآن ؟ .. لا أحد سواى . . . وما قيمة
ذلك إذن ؟ ترى ماذا يحدث لو أذيع هذا الخبر العجيب ، ونشر
فى صحف الدنيا : « كليوباترا بعثت لماك آرثر » !!

تلك هى المعجزة التى تتضاءل بالقياس إليها ألف أعجوبة مثل
القنبلة الذرية ! .

وتملكته هذه الفكرة واستحوذت عليه الليالى الطوال .
لابد أن يسكشف أمر كليوباترا يتما للعالم المتحضر .. ولم لك

ففاتحها برغبته قائلاً :

— اسمعى يا كليو ! ..

— إني مصغية ياماك ..

— أخبرينى .. هل فكرت فى المستقبل .. أعنى فى
مستقبلك ؟

— مستقبل ؟ !

— نعم .. أتظلين هكذا دائماً ضابطة مجندة فى غمار
المجنذات لايدرى بك أحد ؟ أنت أجمل وأشهر ملكات التاريخ
تهبطين الدنيا ، ولا تشعر بك الدنيا ؟ تصورى ، لو أذيع أمر
وجودك ، أى أقواس نصر تقام لك فى كل مكان ، وأنا
بجوارك نخور بك .. إنهم فى أمريكا يحسدون من يقترن
باحدى النبيلات ، فماذا هم قائلون يوم يرون - ماك آرثر - وفى
ذراعه - كليوباترا - أبهى الملكات وألمع المتوجات ! ..

— أيها الأمريكى ، أهذا هو الذى يشغل بالك الآن ؟ -

أهذا هو مصير حبنا ؟ تريد أن تستخدمه أداة لإعلان ؟

— بل أريد أن يسكرمك هذا العصر .

— يسكرمنى ؟ أتدرى كيف سيكون تسكرمى ؟ إنى أعرف ما ينتظرنى . سأكون ملهامة للسراح ، يأتون لمشاهدتى من أطراف لأرض ، ومادة للصحفين والمراسلين لا تنضب ، ومريضوا للنساء فى الصالونات والحفلات والمسرح والسباق يثرن الإشاعات حولى ، وينهشون بألسنتهن لحنى . ويتضاحكهن ويتغامزن قائلات : « أهذه هى التى قال التاريخ إنها فتنت القواد والقيصرة ؟ ماذا فيها من حسن وسحر وإغراء يثير الرجال ؟ ! »

— بل تبنى أنك ستكونين أعظم امرأة فى زماننا هذا .

— أعظم امرأة ثروة . هذا محتمل جدا وجائز جدا . . .
فإن شركات الأزياء الكبرى فى جميع العواصم ستتراجع عارضة على أبهى الأجور لأروج لها أثوابها . وشركات الزينة والجوارب ، والعلطور ، والصابون ، وكبار الخلفاء ودور النشر ، والمصورين ورجال الصناعة والمسال والأعمال . الخ ولا تنس شركات هوليوود السينمائية . . . فمن المؤكد أنها

ستهافت طالبة إلى القيام بدور - كليوباترا - في نظير مبلغ لم يدفع
 قط لإنسان ، وقل مثل ذلك عن مسارح - برودواي - الشهيرة
 ومن يدرى ما ستعرض على أيضا من عمل ومن مال . . .

— طبعي جدا أن يكون لك مال كثير وثروة ضخمة ،
 لتقتني الجواهر والنفائس ، وتملكي في كل قارة أكثر من قصر
 وفي كل بحر أكثر من يacht وتعيشي حياة الترف الخليفة بك
 وباسمك العظيم ! . . .

— اسمي العظيم . . . حقا سيكون كذلك ، يوم أراه منقوشا
 بتوقيع الكريم ، على كل علبة — بودرة — وكل زجاجة —
 كلونيا — وأحمر شفاه ، وصبغة أظافر . . . ! . . . هذا هو
 عصرك . . . وهذا هو حبك . وهذا هو كل مستقبلي ! . . .

وقامت غاضبة ، وفي عينها دمة ، أخفتها بأصبعها ،
 وانصرفت بسرعة ، فمض — ماك — خلفها وهو يصيح بها
 — كليو . . . كليو . . . إني أمزح .

— لا . . . أنت لا تمزح . إني أقرأ ما في أعماق نفسك

لأنك لن تستطيع طويلا أن تقنع بحبي لك في زى ضابطة . أنت تريد أن أحبك أمام الدنيا في ثياب — كايوباترا — وان صبرت اليوم فلن تصبر غدا .. إلى أعرف غرور الرجال ! .. — لن أقدم أبدا على أمر يغضبك .

وبرق عندئذ في رأسها خاطر ، فقالت :

— ومع ذلك .. قد فاتنا شيء خطير . ليس في مقدورك أن تكشف أمري .. إن ذلك يعرضك لكارثة .

هب أنك أقدمت وأعلنت حقيقتي للناس .. أتعلم ما الذي يحدث ؟

— ماذا ؟

— يحدث لك ما حدث لكل من أعلن مثل هذا الأمر من قبلك : لن يصدقك الناس .. فإذا أصررت وما ريت وجادلت قaddock بكل بساطة إلى مستشفى المجاذيب .

— ماذا تقولين ؟

— أقول الحقيقة . لقد كذبت عليك يوم قلت إن

ظهورى لك لم يحدث مثله من قبل لبشر . الواقع أن كثيرين من الموتى يظهرون للأحياء . وأن كثيرين من الأحياء يعيشون ويختلطون بالموتى . إن الحاجز بين العالمين غير موجود . إنه حاجز وهمي ، هو العقل الذى يسدل ذلك الستار بين هذين العالمين . ولكن من الناس من يخرج أحيانا على سلطان العقل ، فيرفع في الحال الستار لنفوسهم ويصرون ما وراءه ويمتزجون بمن خلفه . فإذا احتفظوا بهذا السر لأنفسهم سلموا .. أما إذا باحوا به فقد اتهموا بالجنون .. ثقب أن كثيرين قد ظهرت لهم - حشيشة سوت - و - نفرتي - و - سميراميس - كما ظهرت أنا لك .. وعاشوا محتاجين آمنين ما بق السر مكتوما .. أما الذين فقدوا ضبط أعصابهم فأعلنوا ذلك للناس ، فهم أولئك الذين تراهم يعمرن مصحات الأمراض العصبية والعقلية .

— ما أظلم الناس ! ..

— بل ما أظلم العقل ! .. هو الحاكم المسيطر في حياة البشر ، الذى يحجب عنهم نصف الوجود ، فمن جرؤ ونزعه

ليري خارجه .. لم يقل الناس إنه تحرر ، بل قالوا إنه مريض ..
ذلك أن هذا الحاكم الجبار ككل طاغية ، لا يسمى الخارج عليه
متحررا ، بل يسميه مريضا يستحق العلاج والحبس ..

— من حسن الحظ أن أمريكا بلد الحرية ، ونحن فيها
نكره الطغاة والمسيطرين .. وإنك ستترن للحرية تمثالا عظيما
عند مدخل نيويورك .. فاطمئني يا كيو ، ولا تخاف شيئا ..

— ستبوح للناس إذن ؟ ..

— لا . لا . لا .. لم أقل ذلك ..

— أرى في عينيك ..

— إذا وافقت أنت . ومن يدري ؟ قد توافقين يوما ..

— ستري إذن ما أصنع ..

* * *

مرت أسابيع .. وإذا صحفى ذو شأن يأتى من نيويورك
يجرى حديثا مع - ماك آرثر - ..

وطالعت - كليوباترا - فى وجه القائد الأمريكى مارابها

وأثار قلقها .. وأدركت أنه قد لا يستشيرها ، ورجحت أن
لسانه سينطلق .. وأنه قد يضعها أمام الأمر الواقع وجها
لوجه .. ويقدمها للصحفي قائلا :

— « الملكة كليوباترا ، أو « مسز كليوباترا » ١ .

لم تطق هذه الفكرة .. وأسرعت من فورها تبحث عن
تعبان ...

لقد جربت الموت من عضته . إنه لا يحدث تشنجا ولا تمزقا
بل يغرق الإنسان في شبه نعاس هادئ يتمنى من يقع فيه أن
لا يصحو منه .. إلى أن تضعف حواسه ويموت موتا لذيذا ..

غير أنها ذكرت وقتئذ أن - الاسبرين - يحدث اليوم عين
الآثر ... فاضطجعت على فراشها وهي بملابس الضابطة ...
وابتلعت أنبوبتين ...

وعلم - ماك آرثر - بالحادث .. فدخل عليها مسرعا ،
فوجدها في النزاع الأخير . وانحنى عليها متفجعا ، وهمس في
أذنها :

— كليو .. كليو .. ماذا صنعت !

فقالت وهي تحتضر :

— هل أخبرت الصحفي ؟

— كلا يا كليو .

— ماك .. احفظ سرى في قلبك وحده ! .

وأسلت الروح .. للمرة الثانية .. وربما للمرة الثالثة
أو العاشرة .. أو المائة .. لا أحد يدري ...

* * *

ظل هذا السر مكتوما بالفعل زمنا .. إلى أن مرض

— ماك أرثر — بحمى خفيفة ، فجعل يهدى في الليل ، ويقول
للممرضة القائمة على فراشه :

— كليو .. كليو .. هل عدت إلى الحياة مرة أخرى

من أجل ؟ !

وحار جميع من حوله في أمر — كليو — هذه .. فهم لم

يسمعوا — الجنرال — يلفظ هذا الاسم أمامهم من قبل ...

وتساءلوا من تكون ؟ أتراها تلك الضابطة — مسز كليتون —
 مسكرتيرته التي أمضها الأرق ، فانت منتحرة بالاسبيرين ؟ ١٤ .
 هكذا قال من أخذ الأمور بطواهرها . . ما الحقيقة التي
 لم تنشر حتى الآن ، فهي التي رويت هنا بخدافيرها ولمن يرتاب
 بأن يلجأ إلى الجنرال — ماك أرثر — نفسه . . .
 وهو لن يستطيع أن ينفي الواقعة .

موقف حج

موفق

حدث ذات صباح أن كنت جالسا على أفريز المقهى المعتاد
بجوار صديق حسن « بك » . وهو ليس من أصحاب الألقاب
ولا حملة الرتب ولكن هكذا نتاديه ، لأن حب المظاهر شيء في
دمه ، والرغبة في « التظاهر » طبع فيه .

مر بي في ذلك اليوم مصادفة ، فأجلسته وأكرمه ، ولم أكن
رأيتَه منذ شهور . وأمرت له بفنجان من القهوة . وأخذنا في
الحديث .. وإذا بشخص يدنو مني مبتسما مترددا فالتفت إليه
وبادرتَه :

— من حضرتك ؟

— أنا أسى ... مرقص ..

— طلباتك ؟

فقال على أذنى هامسا :

— هل تقبل أن تسكب خمسين قرشا في اليوم ، وأنت جالس في مكانك ، هذا ، بدون أن تصنع شيئا ؟

— بالطبع . لا موجب للرفض

قلتها على البديهة ، كأنها من وحي الشعراء ، فبادر الرجل يقول :

— إذن اتفقنا . . وهذه دفعة على الحساب . . وأخرج بالفعل ورقة مالية من فئة الخمسين قرشا ، دسها في كفي ، فوضعتها على الفور في جيبي ، وأنا أقول :

— اتفقنا .

وانصرفت عنه إلى استئناف الحديث الذي انقطع بيني وبين حسن « بك » ولكن الرجل حدجني بنظرة شديدة وقال :

— ألا تسألني عن أصل الموضوع ؟ !

— أي موضوع ؟

— لماذا إذن أعطيك هذه النقود؟

— وهل أنا أعرف؟ كل معلوماتي في الأمر، أنه قد تم بيننا اتفاق. ألم يحصل بيننا الآن اتفاق؟. ألم يقع عرض وقبول؟ أما من جهتي فقد قبلت وانتهى الأمر.. بهذه المناسبة أحب أن استفسر منك لماذا تعطيني هذا المبلغ؟

— أخيراً. اسمع ياسيدي. المسألة بسيطة. أنت تجلس هنا دائماً تراقب المارة في غير شيء، فلن يكلفك جهداً أن تراقب سيدة يقال إنها تتردد على هذه العارة.. فتعرف لنا في أى ساعة بالضبط تدخل، وفي أى ساعة تخرج؟

— وما شأنك بهذه السيدة؟

— لا شأن لي بها على الإطلاق، ولم أراها أبداً...

— عجباً!.. وما الداعي إذن أن تجعلني شرلوك هولمز في مسألة لا تعنيك ولا تعنيني؟!

فتضحك الرجل ثم قال:

— فلنتكلم بصراحة. لا أحسن من الصدق والصراحة.

أنا في الحقيقة المكلف بهذه المراقبة في نظير مبلغ جنيه ، ولكني مشغول بعمل آخر ، وليس لدى الوقت الذي يمكنني من أداء هذه المهمة .. ففكرت في أن أستأجر ك من الباطن ، ونقاسم المبلغ ...

— عظيم يامرقص أفندي . أنت في الحقيقة هو الذي لا يصنع شيئا ويتقاضى خمسين قرشا .

— وأنت أيضا لا تصنع شيئا .

— كيف تقول ذلك يامرقص أفندي ، فأنا الذي سأقوم بكل المهمة .

— بالاختصار تريد أن أنزل لك عن جزء من حصتي ؟

فليسكن ماتريد . أنا لا أحب أن أغضبك . إليك عشرة قروش أخرى ..

— خمسة وعشرين من فضلك !

— تريد أن تأخذ ثلاثة أرباع الجنيه وأنا الربع ؟ !

— هكذا العدل .

فنفخ الرجل غيظا . ولكن لم يجد من القبول بدأ .
 فأخرج من جيبه فرق المبلغ ، ونقدني إياه دون أن ينبس
 بحرف . فوضعت النقود في جيبى . ووعدته خيرا ، وانصرفت
 عنه إلى محادثة جليسى . ولكن الرجل لم ينصرف ، ودنا
 منى يقول :

— حضرتك لم تسألنى عن السيدة .

— أى سيدة ؟

— التى ستراقبها . كيف ستقوم بمراقبتها وأنت لم تعرف
 منى أوصافها ؟

— حقيقه . غاب عن فطنتى ذلك . اذكر لى أوصافها .

— خير من هذا أريك صورتها ، لتتطبع ملاحظها فى
 رأسك جيدا .. إليك الصورة .. أنظر ...

وأخرج من محفظة جيبه صورة فوتوغرافية لامرأة مليحة
 اطلعت عليها بحدروها فى يده . فقلت له :

— هل تسمح لى أن أحتفظ بالصورة ؟

— ليس هذا من المستحسن . لأنى وعدت أن أحرص عليها ولا أسلمها لأحد .

— ومن الذى أعطاك إياها ؟

— لا ياسيدى ، هذه أسرار خاصة ، لا يجوز لنا الخوض فيها . هذا لا يعنيننا . فلنعمل فى حدود التكليف ، ولا دخل لنا فى الباقى .

— أهو زوجها ؟

— لا أظن .

— لعله خليلها ؟

— ربما .

— خليلها يشك فى سيرها ويفار على سلوكها ؟ !

— فراستك فى محلها . على كل حال هذا باب أنصحك

بأن لا تفتحه أو تفتش خلفه . أسرار العائلات وخفايا البيوت

يجب أن تكون عندنا فى الإيمان والصون ..

— مفهوم ، مفهوم .

— والآن ... أنا معتمد عليك .

— اطمئن ... فقط لا أخفي عنك أن ذاكرتي ضعيفة

ولا يعتمد عليها ، فمن مصلحة العمل أن تترك لى الصورة ، ولو
ليوم واحد ، أرجع إليها وأطابق حتى لا يحدث لبس أو غلط .
إن السيدات المارات كثيرات . ومن الصعب على مثل أن
يفرز هذه من تلك .

ففسكر الرجل لحظة ، وهرش رأسه قليلا ثم مد لى يده
بالصورة وهو يقول : لا بأس . ابقها معك اليوم ، وأوصانى
بالمحافظة عليها حين ردها إليه فى الغد . .

وانصرف مرقص أفندى مشيعا بعبارات التجلة والاحترام
وما كاد يخطئى عن بصرى ، حتى ملت على جليسى حسن بك
وقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها ، مع حذف مسألة
الخمسة والسبعين قرشا بالطبع ، وختمت الكلام بقولى :

— أنت تعرف أن غفلتى أكبر من فطنتى ، وأن سهوى
أكثر من صحوى ، أما أنت فكثير الفطنة شديد اليقظة ، فما

رأبك لو قت عنى بهذه المهمة .. وألقيت بالك إلى كل سيدة
تدخل العمارة أو تخرج منها ، وتطابق أوصافها على الصورة
التي سأطلعك عليها الآن ... على أنى قبل كل شىء أحب أن
أصارحك بأن هذا عمل بأجر ..

فضحك حسن بك وقال :

— لا عليك ... لأننى سأقوم به لوجه الله .

— لا ياسيدي الفاضل . الشغل شغل . لا يوجد شىء اسمه
لوجه الله . وهل تظن وجه الله يرى بلا ثمن ؟ هذا التعبير خطأ
فى خطأ . ولست أدرى من ابتدعه . إن وجه الله لا يشاهد
بالمجان ، بل بمصروفات . وإليك البيان : لابد من دفع صدقة
وزكاة ونذور وفداء وكفارة ونفقات حج وتكاليف زيارة
وإغاثة ملهوف والتضحية فى العيد بخروف .. إلى آخر تلك المبالغ
التي لو جمعتها لكان الحاصل رقما لا يستهان به . فدع فكرة التبرع
وتناول أجر عملك طبقا للأصول المعمول بها فى جميع
الأحوال .

— أمرك . انقذني الأجر إذن .

— سأدفع لك ثمن فنجان القهوة .. أتقبل ؟

— قبلت .

قالها راضيا مغتبطا ، ومد يده ليتناول من يدي الصورة . فقلت له :

— مهلا . يجب أن تردها إلى قبل قيامك . فقد وعدت أن أردّها إلى الرجل غدًا ..

فقال بابتسامة بريئة :

— طبعًا وما الداعي لاحتفاظي بها طويلا .. فوضعتها في كفه ... فرفعها إلى عينيه باسمًا بغير اكتراث . ولكن .. لم يكند بصره يقع عليها حتى امتقع لونه ، وارتجفت يداه ، وارتعشت شفّته .. وهالني أمره فقلت له :

— حسن بك .. مالك ؟

فلم يجب . وخيل إلى أن أذنه لم تعد تسمع . وجدت عيناه على الصورة وتصبب العرق من جبينه . فهزته يدي قائلا :

— مالك يا حسن بك ؟ هل . . هل تعرفها ؟

فقال بصوت ميت ينشر من قبر :

— كيف لا أعرفها وهى . . زوجتى !

وانتفض الرجل انتفاضة خلت روحه قد خرجت معها
ووثب من مقعده ، وانطلق فى الشارع يعدو كالمجنون . ولم
يلبث أن غاب عن نظرى الشارد ، وفكرى الذاهل . وكدت
أصبح فى أثره :

— الصورة . . . الصورة .

ولكنى تذكرت فجأة كارثته . وأدركت أنها له . وأنه
أحق أهل الأرض بحملها والاحتفاظ بها . فملكك نفسى . .
وثاب إلى رشدى قليلا قليلا فلعلنت يومى . ولعلنت مرقص
أفندى . ولعلنت الخمسة والسبعين قرشا . التى خسرت من أجلها
صديق . وخسر الصديق زوجته وخسرت الزوجة خليلها . .
ولو كنت أعلم أن المهمة ستؤدى إلى هذه الفواجع كلها ،
لطالبت مرقص أفندى بما لا يقل عز خمسة جنهات . . .

ابليس نيقه

في ذلك يا حسن بله اهل بيته من عرقها

انما صورت بيت بنو من اهل بيته

كعب لا اهلها مني - زوجه ا

والحسن اهل البيت خلف روضة قد خرجت منها

وركب من قومه واهل بيته اهل الشارع بنو كاهن - واهل

بيت اهل بيته من اهل بيته اهل بيته واهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اهل بيته اهل بيته اهل بيته اهل بيته

اتخذ قوم شجرة ، صاروا يعبدونها .. فسمع بذلك ناسك
مؤمن بالله ، فحمل فأسا وذهب إلى الشجرة ليقطعها .. فلم يك
يقرب منها ، حتى ظهر له « إبليس » حائلا بينه وبين الشجرة ،
وهو يصيح به :

— مكانك أيها الرجل ! .. لماذا تريد قطعها ؟

— لأنها تفضل الناس .

— وما شأنك بهم ؟ دعهم في ضلالهم ! ..

— كيف أدعهم .. ومن واجبي أن أهديهم ..

— من واجبك أن تترك الناس أحراراً ، يفعلون ما يحبون .

— إنهم ليسوا أحراراً .. إنهم يصغون إلى وسوسة

الشیطان ..

— أو تريد أن يصغوا إلى صوتك أنت ؟ .. !

— أريد أن يصغوا إلى صوت الله ! ...

— لن أدعك تقطع هذه الشجرة ..

— لا بد لي من أن أقطعها ..

فأمسك إبليس بخناق الناسك .. وقبض الناسك على قرن الشيطان .. وتصارعا طويلا .. إلى أن انجلت المعركة عن انتصار الناسك .. فقد طرح الشيطان على الأرض وجلس على صدره وقال له :

— هل رأيت قوتي ! ..

فقال إبليس المهزوم بصوت مخنوق :

— ما كنت أحسبك بهذه القوة .. دعني وافعل ماشئت .

نخل الناسك سميل الشيطان .. وكان الجهد الذي بذله في المعركة قد نال منه .. فرجع إلى صومعته واستراح ليلته ..

فلما كان اليوم التالي حمل فاسه ، وذهب يريد قطع الشجرة

وإذا إبليس يخرج له من خلفها صائحا :

— أعدت اليوم أيضا لقطعها ! ؟

— قلت لك لا بد لي من أن أقطعها ..

بـ أو تظنك قادراً على أن تغلبني اليوم أيضا ؟ ..

— سأظل أقاتلك حتى أعلى كلمة الحق ! ..

— أرنى إذن قدرتك ! ..

وأمسك بخناقه .. فأمسك الناسك بقرنه .. وتقائلا
وتصارعا .. إلى أن أسفرت المرقعة عن سقوط الشيطان تحت
قدمي الناسك .. فجلس على صدره وقال له :

— ماقولك الآن في قوتي ؟!

— حقاً .. إن قوتك لعجيبة دعني وأفعل ما تريد ..

لفظها الشيطان بصوته المتهرج الخنوق .. فأطلق الناسك
سراحه .. وذهب إلى صومعته واستلقى من التعب والإعياء
حتى مضى الليل وطلع الصبح فحمل الفأس ، وذهب إلى الشجرة
فبرز له إبليس صائحا فيه :

— ألن ترجع عن عزمك أيها الرجل ؟ !

— أبدأ .. لا بد من قطع دابر هذا الشر ! ..

— أتخسب أنى أتركك تفعل ؟ !

— إن نازلتنى فانى سأغلبك ... فتفكر إبليس لحظة .. ورأى
أن النزال والقتال والمصارعة مع هذا الرجل لن تتيح له النصر
عليه ... فليس أقوى من رجل يقاتل من أجل فكرة أو
عقيدة ..

ما من باب يستطيع إبليس أن ينفذ منه إلى حصن هذا
الرجل غير باب واحد : الحيلة ..

فتلطف للناسك وقال له بلهجة الناصح المشفق :

— أتعرف لماذا أعارضك فى قطع هذه الشجرة ؟ ! إنى ما
أعارض إلا خشية عليك ورحمة بك .. فأذك بقطعها ستعرض
نفسك لخط الناس من عبادها .. مالك وهذه المتاعب
تجلبها على نفسك ؟ .. اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم
دينارين تستعين بهما على نفقتك .. وتعيش فى أمن وطمانينة

وسلامة ! ..

— دينارين ! ؟

— نعم .. فى كل يوم .. تجدهما تحت وسادتك !

فأطرق الناسك مليا يفكر ثم رفع رأسه وقال لإبليس :

— ومن يضمن لى قيامك بالشرط ! ؟

— أعهذك على ذلك .. وستعرف صدق عهدى ...

— سأجربك ..

— نعم .. جربنى ..

— اتفقنا .

* * *

ووضع إبليس يده فى يد الناسك .. وتعاهدا .. وانصرف
الناسك إلى صومعته وصار يستيقظ كل صباح ، ويمد يده
ويدهسها تحت وسادته فتخرج بدينارين .. حتى انصرم الشهر .
وفى ذات صباح دس يده تحت الوسادة فخرجت فارغة .. لقد
قطع إبليس عنه فيض الذهب .. فغضب الناسك .. ونهض
فأخذ فأسه .. وذهب إلى قطع الشجرة ... فاعترضه

إبليس في الطريق ، وصاح فيه :

— مكانك ! .. إلى أين ؟ ..

— إلى الشجرة . . أقطعها !

فقهقه الشيطان ساخراً :

— تقطعها لأنى قطعت عنك الثمن ! ..

— بل لأزيل الغواية وأضئ مشعل الهداية ! ..

— أنت ؟ ! ..

— أتزأ بى أيها اللعين ! ..

— لا تؤاخذنى ! .. منظرىك يشير الضحك ! ..

— أنت الذى يقول هذا ، أيها الكاذب المخاتل : ..

* * *

وانقض الناسك على إبليس وقبض على قرنه . . .

وتصارعا لحظة . . . وإذا المعركة تنجلي عن سقوط الناسك

تحت حافر إبليس . . فقد انتصر وجلس على صدر الناسك

مزهوا مختالاً يقول له :

— أين قوتك الآن أيها الرجل ؟ . . !

فخرج من صدر الناسك المقهور صوت كالخشخشة يقول :

— أخبرني كيف تغلبت أيها الشيطان ؟ . . !

فقال له إبليس :

— لما غضبت لله غلبتني ، ولما غضبت لنفسك غلبتك ،

لما قاتلت لعقيدتك صرعتني ، ولما قاتلت لمنفعتك صرعتك !

فهرس

صفحة

(١) الدنيا رواية ١١

(٢) نصيب ٣٧

(٣) كليوباترا وماك ٧٥

(٤) موقف حرج ١٠١

(٥) إبليس ينتصر ١١٣

قصص نوفل الحكيم

في خمس مجموعات

المجموعة الأولى • وتشمل قصص: ليلة الزفاف، طريد الفردوس، مدرسة
• المغفلين، لا كرامة لني فوطنه، الشيخ البلبيسي.

المجموعة الثانية • وتشمل قصص: الدنيا رواية، نصيب،
• كايوباترا وملك، موقف حرج، ابلانس ينتمصر.

المجموعة الثالثة • وتشمل قصص: أنا الموت، امرأة غلبت
• الشيطان، أسعد زوجين، وكانت الدنيا،
• الاختراع العجيب، وجه الحقيقة، أرنى الله.

المجموعة الرابعة • وتشمل قصص: اعترف القاتل، الشهيد،
• العاشق المجهول، في نخب العصابة، عاطفة
• أب، عبقرية وإفلاس، دولة العصفير.

المجموعة الخامسة • وتشمل قصص: سنة مليون، مؤتمر الحب،
• الاسطى عزرائيل، من ليالى مونمارتر، موزع
• البريد، زوجة روميو الثانية، معجزات وكرامات.

وکیلان و محققان

در بیان

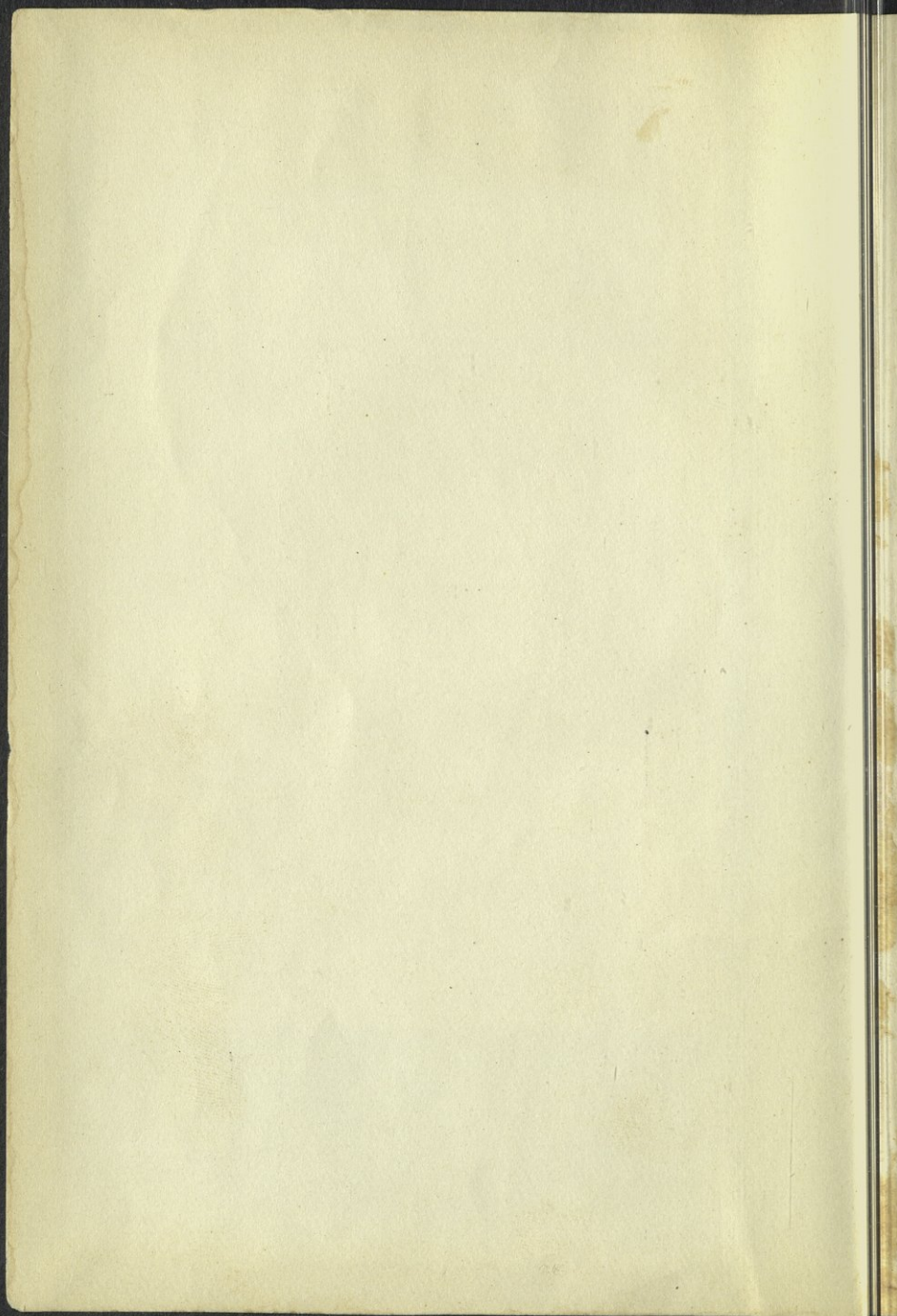
در بیان...
در بیان...
در بیان...

در بیان...
در بیان...
در بیان...

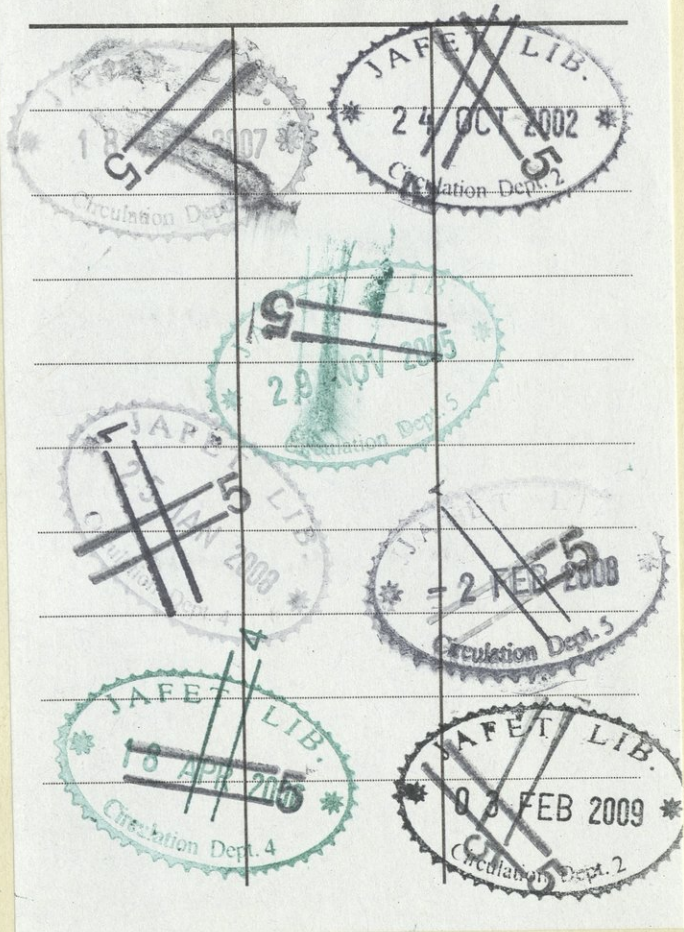
در بیان...
در بیان...
در بیان...

در بیان...
در بیان...
در بیان...

در بیان...
در بیان...
در بیان...



DATE DUE



الحكيم ، توفيق
قصص توفيق الحكيم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01037790

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

